أحكام الصـــلاة وآدابهـــا

الطهارة شرط لصحة الصلاة

لقد بُعث رسولنا محمدٌ ﷺ في بلد مقفر الجبال يتوسطه وادٍ غير ذي زرع عند بيت الله الحرام، وكان الماء في جملته قليلاً لا يوصل إليه إلا برشاء طويل ودلو وقربة ثقيلة تحمل مسافات طويلة، ومع كل هذه الصعوبة والمشقة في الحصول على الماء، فقد جعل الإسلام استعمال الماء للطهارة شرطًا من شروط صحة الصلاة، بمعنى أن الصلاة وهي أشرف العبادات لا تقبل إلا بالوضوء وكامل الطهارة حين يكون الماء ميسورًا.

وفي الوقت الذي نرى فيه اهتمام الإسلام بالطهارة نسمع أن إحدى راهبات النصارى افتخرت أن جسدها لم يمسسه الماء منذ طفولتها، وهي تتقرب بتلك الوساخة إلى الربِّ في زعمها.

إنَّ الطهور في شريعتنا نصف الإيمان، وقرآننا يهيب بنا أن نتحبب إلى الله بالطهارة، فيقول ربنا ﷻ: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ويمدح عُمَّار مسجد قباء فيقول عن ذلك المسجد: ﴿**فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ [التوبة: ١٠٨]، وما أجمل أن يظل المؤمن على طهارة طول النهار؛ لأنه يملك عندئذٍ تأشيرة دخول ربانية تؤهله أن يتشرف بالوقوف بين يدي الله متى شاء ليتوجه بالصلاة إليه، ويعرض حوائجه عليه، ويقف بالخضوع الشريف اللذيذ بين يديه.

ولقد كان رسول الله ﷺ يعلِّم أصحابه الطهارة كما يعلِّم الأب الواعي أبناءه وأطفاله دخول الخلاء، حتى إنه كان يعلِّمهم كيف يطهرون عوراتهم عند دخول الخلاء.

ولقد كانت الوساخة إلى عهد ليس ببعيد من الظواهر الملحوظة في الأحياء اليهودية، فكان المار بحاراتهم في فلسطين ودمشق والقاهرة وبغداد وصنعاء يعرف أنها أحياء يهودية بما يشم من روائحها الكريهة، ومن أجل ذلك حذَّرنا رسول الله ﷺ أن نتشبه باليهود في قذارة

الأفنية، فقد جاء في الحديث «**إنَّ الله نظيف يحب النظافة، جواد يحب الجود، فنظِّفوا أفنيتكم ولا تَشَبَّهوا باليهود**».

وهذه بعض الأحاديث الشريفة في آداب الطهارة نوردها ثم نوضح تلك الآداب النبوية لتعرف الدنيا أن ديننا فيه من الذوق والأدب والحضارة الإنسانية الشريفة ما ينوء على الحصر:

ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا اللاعنين**» قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: «**الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظِلتهم**».

وفي سنن أبي داود والنسائي قال رسول الله ﷺ: «**لا يخرج الرجلان يضربان بالغائط كاشفين عن عوراتهما يتحدثان**».

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يدخل الحمام إلا بمئزر، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يدخلن حليلته الحمام**».

وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها**».

وفي مسند أحمد وصحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ عند كل صلاة.

وصحَّ أن النبي ﷺ قال: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرَّبِّ**».

وقال -عليه الصلاة والسلام: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كلِّ وضوء**».

وفي مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**حقٌّ على كل مسلم الغسل والطيب والسواك يوم الجمعة**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ**».

وفي صحيح البخاري: «**الفطرة خمس: الاختتان، والاستحداد** (أي: إزالة العانة)، **وقص**

الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط».

وفي سنن أبي داود: قال رسول الله ﷺ: «**بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده**».

ولأبي داود أيضًا: «**مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ** (أي: ريح طعام فيه دهن)، **وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**».

وفي مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا هريرة، قلم أظفارك؛ فإن الشيطان يعقد على ما طال منها**».

وفي الأثر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أفواهكم طرق من طرق ربكم فنظفوها**».

مما تقدَّم من الأحاديث الكريمة يمكن استنباط الآداب والأحكام التالية المتعلقة بالنظافة:

أولاً: المسلم لا يكون إلا نظيفًا؛ لأن النظافة في شريعة دينه ومن أدب إيمانه، وإذا رأيت امرأ قذرًا فاعلم أنه لم يلتزم أوامر دينه إزاء النظافة، وإن النظافة شرط مهم من شروط صحة الصلاة، ولا يقبل الله صلاة امرئ يتيسر له استعمال الماء فلم يتوضأ.

ثانيًا: ولكي يكون المؤمن صورة لإسلامه الوضيء سنَّ له الإسلام أن يكون دوامًا طاهر الظاهر بالنظافة والطيب والسواك، وطاهر الباطن بالإيمان والاستقامة ومكارم الأخلاق.

ثالثًا: أكثر ما تصدر الروائح الكريهة من مغابن الجسد، ولذا حرص الإسلام أن يعتني المؤمن بنظافة تلك المغابن بالاستنجاء، وبالختان، وبتقليم الأظافر، وبنتف شعر الإبط، وإزالة العانة، وبتخليل الأصابع وكلِّ شعر الوجه والرأس، وبإكرام الشعر وبالسواك المستمر وبقص الشارب.

ولقد جلست إلى بعض الشباب الأجانب فلم أرتح لروائحهم بسبب ترك المغابن دون تنظيف وبخاصة الإبطين والأظافر، ولأنهم لا يستعملون الماء في الاستنجاء نهائيًّا، فلا يخلو الأمر أن يعلق بملابسهم بعض الأذى.

والحقُّ أن كلا من المسلم والمسلمة حين يحافظان على الصلاة يُرى على وجوههم وضاءة

ونضارة ولا تتاح للأقذار أية فرصة أن يبدو أثرها عليها.

رابعًا: على المؤمن أن يحرص حرصًا شديدًا ألا تبدو له عورة ولا تنكشف له سوأة وخصوصًا في المسابح العامة التي يكون فيها اختلاط يندى له جبين الحياء.

إنَّ الحياء من شعب الإيمان، وإذا قلَّ حياء المرء فعل ما شاء، والمرأة المسلمة لا تضع ثيابها الساترة إلا في بيتها، أما أن تفعل ذلك أمام خياط أو بزاز؛ فتلك هتك ولعنة.

خامسًا: أجمل ما تكون النظافة والعطر يوم الجمعة لتكون مساجد المسلمين كأنها حدائق الورد القائمة، يقول الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنْتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: ٦].

منزلة الصلاة

يحرص المؤمن على صلاته حرصه على روحه وسلامته، وذلك لأن الصلاة هي أجلُّ العبادات بعد توحيد الله ﷻ، وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته؛ فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر.

ولأمر ما فرض الله -جلَّ وعلا- الصلاة على النبي ﷺ وهو في السماء، ودارت بين النبي الكريم وربه مداولة حول الصلاة اشترك فيها نبي الله موسى عليه السلام شيخ أنبياء بني إسرائيل إلى أن استقرت خمس صلوات في اليوم والليلة، وجعلها ربنا ﷻ على المؤمنين كتابًا موقوتًا، ولكل وقت من أوقاتها حدود لا يجوز أن يؤخر عنها أو يقدم.

إنَّ المؤمن يعتبر الصلاة قرة عينه وغذاء روحه وقربته إلى ربه وذخيرته التي يرفع الله بها درجاته ويحيط بها خطيئاته؛ ففي صحيح مسلم يقول النبي ﷺ: «**عليك بكثرة السجود لله؛ فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**».

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء**».

وفي الحديث المتفق عليه: «**مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جارٍ غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات**».

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن توضأ نحو وضوئي هذا وصلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه**».

ولكي ينشأ أطفال المسلمين نشأة إسلامية طاهرة أمر النبي ﷺ أن يُنَشَّئوا على الصلاة ويتعوَّدوها من نعومة أظفارهم، فقال كما روى أبو داود في سننه: «**مروا صبيانكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**».

ومن فضائل الصلاة أنها تنهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وذلك لتكرارها وتقارب أوقاتها؛ ففي سنن الترمذي ومسند أحمد يقول النبي ﷺ: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم (وهو يعني لا يستفيدون من صلاتهم) عدَّ من بينهم امرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون، وذلك لأنهما لم يستفيدا من صلاتهما ما يردعهما عن كفر العشير والتمقُّت للخلق، وفي الأثر أنه قيل للنبي ﷺ: إن فلانًا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ستمنعه صلاته**».

وقد أجمع أئمة المسلمين أن تارك الصلاة متعمدًا كافر؛ ففي مسند أحمد -رحمه الله- يقول النبي ﷺ: «**من ترك الصلاة متعمدًا؛ فقد كفر جهارًا**».

وقد كان رسول الله ﷺ يعدُّ انتظار الصلوات والصبر عليها رباطًا في سبيل الله؛ ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط**».

ومن آداب المؤمن أن يحرص على أداء الصلاة في أول وقتها؛ ففي سنن الترمذي يقول النبي ﷺ: «**الوقت الأول من الصلاة رضوان الله، والوقت الآخر عفو الله**».

ومن أدب المصلي إذا سمع النداء أن يقول كما يقول المؤذن، ويحوقل عند الحيعلتين، ثم إذا انتهى المؤذن أن يدعو لرسول الله ﷺ بالوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود.

ولا كفارة لمن نسى صلاة أو نام عنها إلا أن يصليها إذا ذكرها، وعلى المصلي أن يؤدي الصلاة وهو خالٍ مما يشغل نفسه، فلا يصلي في حضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان، وليستحضر مخافة الله في صلاته؛ ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء.

ومن أدب المؤمن أن يأتي الصلاة في هدوء وسكينة، وألا يركض ركضًا؛ ففي مسند أحمد يقول النبي ﷺ: «**إذا نودي بالصلاة فأتوها وأنتم تمشون، وعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**».

والمؤمن يخشع في صلاته ليكون من المؤمنين المفلحين الذين هم في صلاتهم خاشعون، يصلون صلاة مودع متدبر لما يقول؛ ففي «مصابيح السُّنة» أن رسول الله ﷺ قام يصلي حتى أصبح بآية من كتاب الله: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة: ١١٨].

ومن الأدب أن يأخذ المؤمن زينته عند الصلاة، يقول الله -تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ [الأعراف: ٣١]، أي: ألبسوا ثيابكم النظيفة عند كلِّ صلاة.

والمؤمن يجعل مفزعه إلى الله في الكُربات فيصلي ويطيل القيام؛ ففي مسند أحمد كان -عليه الصلاة والسلام- إذا حزبه أمر صلى.

وما أجمل أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**»، ويقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي وارحمني وأجرني وارفعني واهدني وعافني وارزقني**»، فإذا سلم من الصلاة قال: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أعلنت وما أسررت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**».

ومن أدب الإمام إذا صلى بالناس أن يخفف؛ لأن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة، فإذا صلى وحده صلى كما يريحه، والإمام يدعو لنفسه ولمأموميه، ولا يخص نفسه بالدعاء.

هذا؛ والحرص على صلاة الفجر وصلاة العشاء من أخلاق المؤمنين؛ لأن من شهدها في جماعة كانت له براءتان: براءة من النفاق، وبراءة من الشرك.

هذا، ومن الأدب إذا زرت قومًا ألا تؤمهم، بل تترك رجلاً منهم ليؤمهم.

هذا، ومن أدب المؤمن حرصه على شهود الجمعة؛ ففي الحديث المتفق عليه: «**من ترك ثلاث جمع تهاونًا من غير عذر طبع الله -تبارك وتعالى- على قلبه**».

والمؤمن لا يحرم بيته من بركات الصلاة وطيبها، فيصلي الرواتب والنوافل في بيته، وأما المفروضة فيصليها مع جماعة المسجد.

هذا، ومن تمام الثواب أن تدعو الله في أدبار الصلوات بما ورد من مأثور الدعاء، وأن تسبح الله وتحمده وتكبره ثلاثًا وثلاثين لكل منها، وتتم ذلك بقولك: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**».

احترام بيوت الله

احترام بيوت الله من دلائل الإيمان ومن آداب الإسلام، ولا غرو؛ فإن من احترم امرأً احترم بيته، والمسجد هو أوسع الأماكن صدرًا للمؤمنين، يرحب بالزائرين ويغمرهم بهالة من النور والسكينة تنور وجوههم وقلوبهم، وإذا كان احترام البيت من احترام صاحبه؛ فإن أولى البيوت بالاحترام هو بيت الله ﷻ، فإنه بيت أعد الله فيه للمؤمنين نزلاً وضيافة؛ لأن عمار المساجد هم ضيوف الله وأحباؤه وهم أهل الرجولة والإيمان ومخافة الله.

لقد خلع الله ﷻ على عمار المساجد صفات من الفضائل تجعلهم في مقدمة الرجال، يقول ربنا ﷻ: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ [التوبة: ١٨]، ويقول ﷻ: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور: ٣٦- ٣٨].

وإنه مما يسوء المؤمن أن يرى عددًا من صغار الصبية حول معظم المساجد يزين لهم الشيطان اللعب والعربدة والضجيج قريبًا من المسجد وأثناء إقامة الصلاة، والإثم في ذلك على آبائهم؛ لأنهم لم يعلِّموهم احترام المساجد، ولا عرَّفوهم أنها أجدر بيوت الأرض بالإجلال؛ لأنها ضيافات الله لعباده الصالحين.

وإني ملخص للقارئ الكريم سُنة الله ورسوله في احترام المساجد ورفع شأنها:

جاء في سنن الترمذي وأبي داود أن رسول الله ﷺ أمر أن تبنى المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب. وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أمرت بتشييد المساجد لتزخرفوها كما زخرفتها اليهود والنصارى**».

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لجبريل -عليه الصلاة والسلام: «**أي البقاع أحب إلى الله؟**» **قال: المساجد، وأحب أهلها إلى الله أولهم دخولاً إليها وآخرهم خروجًا منها، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق وأبغض أهلها إليه أولهم دخولاً إليها وآخرهم خروجًا منها**». (ويعني رسول الله ﷺ إذا أصبحت الأسواق أكبر هم الرجل ومبلغ علمه وشغلته في بدايتها ونهايتها عن ذكر الله وعن الصلاة).

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجعلن قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**».

وفي مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار، وبراءة من العذاب، وبراءة من النفاق**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن منبري على ترعة من ترع الجنة، وما بين منبري وحجرتي روضة من رياض الجنة**».

وقال ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا**».

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه همَّ بإحراق قوم كانوا يصلون في منازلهم ولا يصلون الجماعة، وأنه لم يرخص للأعمى في التخلف عن المسجد والجماعة مع أن بيته بعيد عن المسجد وليس له قائد.

وروي عنه ﷺ أنه قال: «**مَن سمع النداء وهو في المسجد فخرج من غير علة؛ فهو منافق إلا أن يريد الرجوع إليه**».

وفي سنن الترمذي أنه ﷺ قال: «**بشِّر المشائين في الظُّلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**».

وفي مسند أحمد: «**إذا دخل أحدكم المسجد؛ فليركع ركعتين قبل أن يجلس**».

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه، وتصلي الملائكة عليه ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**».

وجاء عنه ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قدَّم رجله اليمنى وقال: «**باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي، وافتح لي أبواب رحمتك**»، ويفعل مثل ذلك في خروجه إلا إن يقدم اليسرى ويقول: «**وافتح لي أبواب فضلك**».

وروى الحاكم أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نعس أحدكم يوم الجمعة في مجلسه، فليتحول من مجلسه ذلك**». وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**مَن جلس في مصلاه من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ستره الله من النار**».

وفي سنن الترمذي ومسند أحمد قال ﷺ: «**إذا رأيتم الرجل يتعاهد أو يعتاد المسجد؛ فاشهدوا له بالإيمان**»، وتلا قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [التوبة: ١٨].

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا استأذنت أحدكم امرأته في المسجد؛ فلا يمنعها**»، وقال في موضع آخر: «**خير مساجد النساء بيوتهن**»، وقال: «**لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها**».

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**من سمع رجلاً ينشد ضالته في المسجد؛ فليقل: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا**».

وفي سنن الترمذي: «**إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك**»، وله أيضًا: أن رسول الله ﷺ نهى عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تنشد فيه ضالة أو ينشد فيه شعر.

وفي صحيح البخاري أن عمر ﵁ سمع رجلين يرفعان صوتهما في المسجد فقال لهما: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟!

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن أكل ثومًا أو بصلاً؛ فليعتزل مسجدنا**»، وفي زيادة لمسلم: «**فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**».

وفي سنن أبي داود والترمذي أن رسول الله ﷺ نهى عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب (والحبوة أو الاحتباء أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما فيه مع ظهره ويشد عليه)، وإنما نهى الرسول الكريم عن مثل هذه الجلسة؛ لأنها تجلب النوم فتفوِّت على صاحبها سماع الخطبة، وقد ينتقض معها الوضوء. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتًا في الجنة**».

وفي صحيح مسلم أن عمر ﵁ كان ينهى عن أن يُدخلَ المسجد من باب النساء.

وروى أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ نهى عن التحلُّق قبل الصلاة يوم الجمعة، والتحلُّق هو إقامة حلقات لطلب العلم، وفي سنن أبي داود نهى أن تدخل الحائض المسجد.

ومن تمام الفائدة أن تذكر أن رسول الله ﷺ نهى أن يتخذ المسجد ممرًا، أو أن تدخله وأنت تحمل لحمًا نيئًا، واستحب أن يصلي كل رجل في مسجد قومه، ولا يتتبع المساجد، كما نهى رسول الله ﷺ أن يسند الرجل ظهره إلى القبلة، ونهى أن يدخل المسجد أطفال غير مميزين أو مجانين خشية أن يوسخوا المسجد أو يروعوا المصلين.. ألا ما أجمل أن يعلِّم كل أب ابنه دروسًا في حقِّ المسجد واحترام المسجد وعمارة المسجد بالصلاة والذكر وحسن الأخلاق.

آداب الصلاة

إنَّ أهم عبادة فرضها ربنا ﷻ على هذه الأمة هي الصلاة، فقد بلغ من عظمتها أنه ﷻ فرضها على نبيِّه ﷺ في السماء ليلة الإسراء والمعراج فرضًا مشافهةً لا عن طريق جبريل عليه السلام، وكان من عظمة الصلاة أن كان لموسى عليه السلام دور في أثناء فرضيتها، وموسى عليه السلام هو شيخ بني إسرائيل كما أسلفنا، ولإشراكه في الرأي معنى كبير يدل على عظمة الصلاة كما يدل على اعتراف من موسى عليه السلام بأن النبوة قد ورث العرب أمانتها وبخاصة أمانة الصلاة التي هي عمود الدين.

والصلاة هي دليل الإيمان يشهد لمؤديها بالأمانة والإيمان، ويحقُّ أن يتهم تاركها بالنفاق، والصلاة أول عمل يحاسب عليه المرء يوم القيامة، فإن صلحت صلاته صلح سائر عمله، وإن لم تصلح حبط سائر عمله.

من أجل ذلك ترى المؤمن يحرص على صلاته حرصه على حياته؛ لأنه إن حفظها فقد سعد برعاية الله وحفظه، وإن ضيَّعها فقد رزئ حاضره ومستقبله.

وإلى الأخ القارئ الكريم أسوق هذه المجموعة المباركة من الآداب التي تواكب الصلاة المقبولة إن شاء الله:

أولاً: إن أهم أدب من آداب الصلاة هو الخشوع فيها، وذلك بأن يفرغ القلب أثناء الصلاة من حسابات الدنيا، ويحضر بهمته للصلاة، فإذا رأيت قلبك لا يحضر عند الصلاة ورأيت الشيطان يلهيك عن صلاتك، فضاعف جهدك في إحضار القلب؛ لأن الخشوع في الصلاة دليل الإيمان، يقول الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١ - ٢].

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وركوعها وخشوعها إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة، وذلك الدهر كله**».

وفي سنن أبي داود: «**مَن توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر له ما**

تقدم من ذنبه». وفي رواية له: «**ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين يقبل بقلبه وبوجهه عليها إلا وجبت له الجنة**». وفي رواية لمسلم: «**فقد أوجب**»، ومعنى أوجب أي فعل ما يوجب له الجنة.

ثانيًا: أن يكون لصلاتك حياةٌ؛ لأن من الصلاة ما يكون ميتًا، ومنها ما يكون حيًّا، والصلاة التي فيها حياة هي التي يتفهم مؤديها ما يقوله من ألفاظ الصلاة بأن يتدبر افتتاح الصلاة عند كل قوله: «الله أكبر»، فإن قول المصلي: «الله أكبر» معناه أن كل ما عدا الله في أثناء الصلاة هو ضئيل صغير، والله ﷻ أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، ومهما هوَّل الشيطان في عينيك عرضًا كبيرًا؛ فالله ﷻ أكبر.

ثالثًا: ومن أهم آداب الصلاة الشعور بعظمة الله واستشعار وحدانيته والاستغراق في توحيده والهيبة له؛ فالله ﷻ في غنى عن عبادة العبد، ولا يناله شيء من منافع العبادة لكن يناله التقوى منكم.

ولقد كان من السلف –رضي الله عنهم ورحمهم– من تنسيه مهابة الله نفسه في الصلاة، فقد قرأنا أن عبد الله بن الزبير –رضي الله عنهما– كان يصلي في الحِجر فسقط حَجَر منجنيق قدامه قريبًا منه حتى مزق بعض ثوبه، فما التفت ولا قطع الصلاة.

وقرأنا أن سعيد بن جبير ﷺ أصيب بمرض استوجب قطع رجله، فقطع الطبيب رجله وهو يصلي مشغولاً عن الآلام بصلاته.

وكان زين العابدين بن علي –رحمه الله– إذا توضأ اصفر لونه وسمع لقلبه أزيز، فيسأله من حوله: ماذا ألمَّ بك؟ فيقول: أتدرون من الذي سأقوم بين يديه؟!

إنَّ الصلاة فترة من الصلة بين العبد وربه، يقترب فيها العبد من ربه، وخصوصًا حين يسجد؛ حيث يصبح أقرب ما يكون إلى ربه.. فما أجمل إذ ذاك أن يذرف دمع المتاب، ويتذكر بين يدي ربه المآب، ويستغرق في ذكر الذنوب والحساب.

وقد جاء في كتاب (منهاج القاصدين) لابن قدامة المقدسي –رحمه الله– هذه العبارة التي أنقلها بتصرف بسيط لعل الله يهدينا بها إلى حقائق العبادة، وإقام الصلاة المقبولة، يقول ابن

قدامة -رحمه الله: يجب أن يكون المصلي بين رجاء الثواب ومخافة العقاب، وأن يتذكر كل شيء في صلاته، فإذا سمع نداء المؤذن؛ فليتمثل النداء للقيامة ﴿**يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ**﴾ [ق: ٤١-٤٢]، وإذا ستر عورته؛ فليتذكر يوم يحشر الناس إلى ربهم حفاة عراة غرلاً، يقول لهم: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [الأنعام: ٩٤]، ﴿**بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**﴾ [الكهف: ٤٨]، وليتذكر المصلي وهو يستر عوراته الظاهرة عن الخلق ليتذكر عورات باطنه وسرّه، وأنى له سترها عن خالقه الذي هو أقرب إليه من حبل وأنى الوريد، وإذا استقبل القبلة؛ فليذكر أن صرف وجهه عن الجهات كلها إلا جهة واحدة هي رحاب بيت الله، وإذن فإن عليه ألا يعنوا إلا للحي القيوم، وإذا رفع صوته بتكبير الله؛ فليحذر أن يكذب قلبه لسانه، فيقول للسان: كيف تقول: الله أكبر، وتكون الشهوات عند صاحبك أكبر؟!

ثم تدبَّر فاتحة الكتاب وكيف قسمها ربك بينه وبينك شطرين، فأنت تحمده وتمجده وتخلص له العبادة، وهو يمدك من لدنه بالعون والهداية إلى الاستقامة، ويجنبك الاعوجاج الذي يتبعه أهل الضلال والغضب.

ثم استشعر أثناء قيامك أنك قائم في خدمة ربك، وأثناء ركوعك أنك ذليل في حضرته، وعند سجودك أنك تُعفِّر وجهك وأنفك بين يدي إلهك العلي العظيم، تعفرها في تراب الخشوع مذكرًا إياهما أن أصلهما من التراب، وأنهما إلى التراب عائدان، وأنه مهما شمخت أنوف وعزَّت وجوه؛ فإن وراءها يومًا تعنو فيه الوجوه للحي القيوم، وقد خاب من حمل ظلمًا.

أهمية الصلاة في الإسلام

لقد أثبت التاريخ عبر أحقابه المتلاحقة أن الصفوف المتراصة للصلاة هي نفسها الصفوف المتراصة للجهاد، وأن أمة محمد ﷺ التي حافظت على الصلاة حتى في ميادين قتالها هي أمة محمد التي أيدها ربها بنصره، وأنجز لها وعدها الذي قطعه في محكم آياته؛ إذ يقول

ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلله عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

ثم تطاول على المسلمين الأمد فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فلقوا في حياتهم غيًّا وضياعًا وخذلانًا، فتهافتت عليهم الأمم حين رأتهم غثاء كغثاء السيل قد أثخنهم حب الدنيا وكراهية الموت وترك العبادة والإغراق في معصية الله.

لقد بلغ من أهمية الصلاة عند الله ﷻ أن فرضها على رسوله ﷺ وهو في السماء غداة المعراج، وجعل الصوم ثلاثين يومًا في العام، والزكاة مرة واحدة في السنة، والحج مرة واحدة في العمر، بينما جعل الصلاة كتابًا موقوتًا تؤدى فيه خمس مرات في اليوم والليلة.

والحقُّ أن الصلاة أثبتت عبر التاريخ عظمة أثرها في الحرب وفي السلم؛ فقد جعلت في المسلمين أسود غاب في الحرب وخير شباب في السلم، وعلى المستوى الاجتماعي، فقد رأينا رأى العين أن المصلين من الطلاب والموظفين والشرطة والتجار والصناع هم أكثر إخلاصًا وأعظم إنتاجًا وأجل خدمةً وأروع اجتهادًا من غير المصلين، وحسبك دليلاً على عظمة الصلاة أنها عمود الدين وقرة عين رسول الله ﷺ، وأنها أول ما يستفتح به، ويجعل المصلي بعيدًا عن الفحشاء والمنكر متحليًا بأخلاق الصالحين المصلين التي ذكرها الله ﷻ في مطلع سورة المؤمنين وأوائل سورة المعارج، ولأمر ما فرض الله ﷻ الصلاة على محمد وأمته وحُمِدَ في السماء مع الملأ الأعلى ليلة معراجه، بينما فرض عليه سائر أركان الإسلام وهو بين أهل الأرض.

وهذه بعض الأحاديث الشريفة الكريمة التي تدور حول أهمية الصلاة في الإسلام نوردها، ثم نتبعها بإلقاء الضوء على الأحكام الجليلة الواردة فيها:

جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟**» (أي: الأوساخ التي تتعلق بجلده) قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**».

وفي الصحيحين أيضًا عن عثمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يتوضأ رجلٌ فيحسن وضوءه، ثم يصلي الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة التي تليها**».

وروى الشيخان أيضًا أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، لقد أصبت

ذنبًا أو حدًّا، فقال له النبي ﷺ: «**أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء؟**» قال: بلى يا رسول الله. قال: «**ثم شهدت الصلاة معنا؟**». قال: بلى يا رسول الله، قال: «**فإن الله قد غفر لك حدك** -أو قال: «**ذنبك**». ولعل رسول الله ﷺ يشير بقوله هذا إلى قوله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود: ١١٤].

وروى النسائي وأبو داود عن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ يُؤَذِّنُ بِالصَّلاَةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلاَةَ يَخَافُ مِنِّي، فَقَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ**».

وفي سنن أبي داود: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى.

وروى أيضًا أن ربيعة الأسلمي ﷺ كان يخدم رسول الله ﷺ، فقال له: «**سلني**». قال: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال -عليه الصلاة والسلام: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**».

وفي صحيح مسلم: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ لاَ يَسْتَطِيعُونَهُمَا**».

وفي رواية: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**».

وفي مسند أحمد والسنن: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**».

أولاً: من أشد المناظر إيلامًا أن ترى عددًا من الفتيان قريبًا من المساجد يرون الصلاة تقام وهم لا يلبون النداء، وقد ترى بعضهم يلعب بدراجته أو سيارته أثناء الصلاة، وربما جاهر بوقاحته فأحدث أصواتًا كريهةً مع أنه كما يبدو في سنه بالغ مكلف.

وأمثال هؤلاء يجرون على الأمة التيه والضياع، وهم كما جاء في الحديث الشريف كفار؛ لأنهم يتركون الصلاة عامدين، وسيحمل أولياء أمورهم أوزارًا؛ لأنهم لم يربوهم على العبادة وهم أبناء سبع أو عشر سنين، وأهملوهم حتى أفلت زمامهم، واسترخى لبهم، وساء أدبهم، وقد قال ربنا ﷻ منذرًا تاركي الصلاة بالويل والتيه والضياع: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ**

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

ثانيًا: إذا أدى المؤمن الصلاة، ووقع بعدها في ذنوب غير الكبائر؛ فإن الله ﷻ يغفر للمصلي ذلك، أما الكبائر فهي الذنوب التي يقع فيها ظلم على العباد، ولهذا فلا بدَّ أن يتنازل صاحب الحق عن حقه كي تتم المغفرة لأهل الكبائر.

ثالثًا: الصلاة درس إلهي في الأخلاق، تنظف المؤمن من أوضار المعاصي، وتنهاه عن كل الفحشاء؛ لأنه بالصلاة يطهر ضميره وتشرق فطرته، فينكر كل منكر، ويعرف كل معروف، ويتذكر لقاءه القريب بربه؛ فكيف عن كلِّ معاصيه؟

رابعًا: لا خلاف بين الأئمة في أن من ترك الصلاة عمدًا ولو فريضة واحدة حتى يخرج وقتها دون عُذر شرعي، فقد كفر وارتد، وعليه حالاً أن يعود إلى إسلامه بإقامة الصلاة والتوبة الصادقة النصوح.

خامسًا: بالصلاة يفرج الله الكروب، ويكشف الغمة، وقد كان رسول الله ﷺ إذا اشتد عليه الأمور فرغ إلى الله بالصلاة.

سادسًا: من شاء أن يطهر نفسه من النفاق، فليتعود صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة، فقد كان من أوضح صفات المنافقين تكاسلهم عن صلاة العشاء وصلاة الفجر.

سابعًا: من المناظر الجميلة التي تعجب الله ﷻ أن يكون المرء مستغرقًا في أعمال الدنيا كراعٍ بين أغنامه في بعض الجبال أو شرطي ينظم المرور في مكان ناءٍ أو تاجر مسافر في ظلمات البر والبحر، فإذا نودي للصلاة رأيت هؤلاء يوقفون أعمالهم، ثم يؤذنون للصلاة ويقيمونها رغبًا ورهبًا لربهم، مثل هؤلاء جميعًا يمدحهم الله في ملأه الأعلى، ويشهدهم أنه غفر لهم.

فضل المساجد وواجبها

وددت لو أن كل يعلم ابنه دروسًا بعنوان آداب المسجد كثقافة إسلامية حول تعامل الطفل والصبي مع المسجد، وأن تفعل كل أم مثل ذلك؛ فقد لاحظت أن عددًا لا يستهان به من الصبيان لا يعرفون حقوق المسجد ولا آداب المسجد، فيدخلون ركضًا ولا يراعون

النظافة، ويتصايحون وقد يتراكضون والناس محرمون للصلاة، بل إن كثيرًا من الكبار قد يتجادلون في المسجد، وقد يعلو جدلهم وقد يبصق بعض الجهلة في المسجد، وقد يكثر البعض من الكلام الدنيوي في المساجد، لذلك كان لزامًا أن نبيِّن فضل المساجد وواجبها موردين الأحاديث الواردة في هذا الصدد، ثم نتبعها -إنْ شاء الله- بما يمكن أن نستنبطه من أحكام، جاء في الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتًا في الجنة**».

وفي الصحيحين وكتب السِّيرة ما خلاصته أن رسول الله ﷺ قال لبني النجار حين اختار موضع المسجد النبوي: «**ثامنوني بحائطكم هذا؟**» (يعني: اطلبوا ثمن بستانكم الذي سنقيم عليه المسجد). قالوا: لا، والله لا نكلف ثمنه إلا إلى الله، وشرعوا يبنون معه وكانوا يرتجزون ورسول الله معهم:

اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاّ خَيْرُ الآخِرَهْ فَانْصُرِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

وكان -عليه الصلاة والسلام- ينقل التراب، فأراد أحدهم أن يحمل عن رسول الله ﷺ لبنته فقال له: «**اذهب فخذ غيرها، فلست أفقر مني إلى الله**».

وقال لرجل حضرمي كان يحسن عجن الطين: «**رحم الله امرأً أحسن صنعته، الزمْ أنت هذا الشغل؛ فإني أراك تحسنه**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد فشق عليه فقام فحكه بيده وقال: «**ألا لا يبصقن أحدكم قبل قبلته**».

وفي الصحيحين: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**». قالت عائشة: لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل.

وفي صحيح مسلم: «**من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك؛ فإن المساجد لم تبن لهذا**».

وروى مالك وأصحاب السنن -رحمهم الله- أن رسول الله ﷺ نهى عن الشراء والبيع في المساجد، وأن تنشد ضالة، وأن ينشد فيها شعر، ونهى عن التحلق قبل صلاة الجمعة.

وفي صحيح البخاري أن عمر ﷺ سمع رجلين يرفعان صوتهما، فأمر السائب بن يزيد أن يحضرهما ثم سألهما، فعلم أنهما من أهل الطائف فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ.

وفي سنن أبي داود: «**إذا نعس أحدكم وهو في المسجد؛ فليتحول من مجلسه ذلك إلى غيره**».

وفي الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ أذن للحبش في العيد أن يلعبوا بالدرق في المسجد.

وفي سنن أبي داود: «**من أتى المسجد لشيء؛ فهو حظُّه**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وفي موطأ مالك أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**».

وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ نهى أن يستقاد في المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار، وأن تقام فيه الحدود.

وفي «المعجم الكبير» عن معاذ: «**جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ، وَخُصُومَاتِكُمْ، وَحُدُودَكُمْ، وَشِرَاءَكُمْ، وَبَيْعَكُمْ، وَجَمِّرُوهَا يَوْمَ جُمُعِكُمْ، وَاجْعَلُوا عَلَى أَبْوَابِهَا مَطَاهِرَكُمْ**».

وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أكل من هذه الشجرة -يعني: البصل والثوم- فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس**».

مما تقدَّم يمكن أن نلخص حقوق المسجد ليعلمها كل قاصٍ ودانٍ ،ويعلِّمها أبناءه، وتكون بإذن الله ثقافةً وتربيةً إسلاميةً للناشئة.

أولاً: أن يسعى الأغنياء إلى بينان المساجد، ويتركوا لهم قدم صدقٍ وذكرى في الدنيا.

ثانيًا: إذا لزم أي عمل للمسجد أن يجند كل إنسان نفسه لخدمة المسجد، ولا يستنكف أن يكنسه، وأن يخرج منه الأقذار؛ فقد جاء أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد -أي: تكنسه- ثم ماتت وتفقدها رسول الله ﷺ، فلما علم بموتها قال: «**لا حول ولا**

قوة إلا بالله، هلا أعلمتموني»، ثم مشى يصلي عليها.

ومن حق المسجد ألا يحدث الإنسان فيه وساخة أو قذارة ببصاقٍ أو غيره أو رمي ورق، وبعدئذٍ فمن حق المسجد أن تدخله النساء إذا تأدبن وعرفن أدب المساجد، أما إذا كثر لغطهن؛ فمن السُّنة أن يمنعن منه، كما جاء في حديث عائشة -رضي الله عنها.

ثالثًا: من آداب المسجد ألا تنشد فيه ضالة، فيأتي أحدهم بصوت عالٍ، ويقول: من وجد شيئًا، فقل له: لا رد الله ضالتك عليك؛ فإن المساجد لم تبن من أجل هذا، وإنما بنيت لعبادة الله.

رابعًا: لا يصح في المسجد البيع والشراء والصفقات، لكن يجوز خارج المسجد؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ**﴾ [الجمعة: ١٠]، يعني: اطلبوا الرزق.

خامسًا: يكره أن ينشد الشعر في المسجد؛ لأن الشعر أكثره مفاخرة، وربما تحول إلى هجاءً إذا وجد شاعران، ثم إن الشعر أكثره خيال، والشعراء معظمهم كما وصفهم ربهم ﷻ: ﴿**فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٥، ٢٦].

سادسًا: من آداب المسجد في يوم الجمعة ألا تقام حلقات علم أو تعليم؛ لأن يوم الجمعة فيه دعوة مستجابة يسن أن ينتهزها المصلي بالدعاء وبقراءة القرآن وحده أو سماع القرآن من جاره، وفي صحيح البخاري ما أفاد أن عمر ﷺ حين سمع اثنين من المصلين يرفعان صوتيهما أراد أن يضربهما، لكنه لم يفعل عندما علم أنهما غريبان، فرفع الصوت في المسجد استحق الضرب عند عمر ﷺ.

سابعًا: من آداب المسجد ألا يجلس المرء فيه ناعسًا تارة يغمض عينيه، وربما ينزل من فمه سوائل وهو ينعس، فإذا أحس أحد بالنعاس فليجدد وضوءه، أو يتحول إلى مكان آخر، أما النوم في المسجد؛ فقد جاء أن الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا ينامون في المسجد على ألا يحدث في المسجد رائحة كريهة أو عرقًا أو غير ذلك، بل ينام وهو نظيف.

ثامنًا: سمح رسول الله ﷺ في الأعياد بلعبة حربية يتفرج عليها الناس في المسجد، ولعل ذلك تشجيع من رسول الله ﷺ على الألعاب التي فيها قوة، وما يدل على أن الإسلام دين يسر ليس فيه تشديد.

تاسعًا: من آداب المسجد ألا يتخذ في داخله قبر مهما كان؛ لأنه في المستقبل ستتحول أنظار الناس إليه، (كما حصل في كثير من مساجد المسلمين)؛ إذ ترى فيها مناظر هي من الشرك الأكبر والعياذ بالله.

عاشرًا: من آداب المسجد ألا تؤخذ فيه ثارات، وألا تقام فيه الحدود؛ لأن ذلك قد يحدث أوساخًا ودماء في المسجد.

حادي عشر: كان رسول الله ﷺ لا يطرد الصبيان من المسجد، وقد تحمَّل من الحسن والحسين الكثير، فقد ورد أنهما ركبا على رقبته وهو يصلي، فأطال السجود، واعتذر للناس بأن سبطيه ارتجلاه، فكره أن يقطع عليهما لعبتهما، لكن إذا ثبت أن الصبي عابث وأنه يقطع أفكار المصلين، ويحدث صياحًا وصراخًا وقذارةً، فلا بدَّ أن يحجبه أبوه عن المسجد مدة. ما أحسن أن يأتي الأطفال إلى المسجد على أن يصلوا ويقلدوا والدهم، أما أن يأتوا للعبث فلا يجوز.

ثاني عشر: إن من أكل بصلاً أو ثومًا فلا يقرب المسجد؛ لتكون رائحته طيبة من أجمل الروائح لا يتأذى منه الإنس ولا الملائكة.

شروط الصلاة

هنالك فرق بين شروط الصلاة وبين أركان الصلاة؛ فالشروط هي الأمور التي لا بدَّ من توفرها قبل الشروع في تكبيرة الإحرام، أما الأركان؛ فهي الأعمال الواجبة التي يقوم بها المصلي أثناء الصلاة إلى ختامها.

وهذه أحاديث كريمة تحدد شروط الصلاة:

في (جامع الترمذي) قال رسول الله ﷺ: «**ما بين المشرق والمغرب قبلة**».

obeikandl.com

وفي رواية لرزين أن النبي ﷺ لم ير الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة.

وفي سنن أبي داود من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا سَافَرَ فَأَرَادَ أَنْ يَتَطَوَّعَ اسْتَقْبَلَ بِنَاقَتِهِ الْقِبْلَةَ فَكَبَّرَ ثُمَّ صَلَّى حَيْثُ وَجَّهَهُ رِكَابُهُ.

وفي صحيح مسلم من حديث طويل لابن عمر: «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور**».

وفي سنن أبي داود: «**إذا جاء أحدكم إلى المسجد؛ فلينظر فإن رأى في نعليه قذرًا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما**».

وروى الجماعة عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ الله ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «**قُومُوا فَلْنُصَلِّ بِكُمْ**». قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لَبِثَ فَنَضَحْتُهُ بِالْمَاءِ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَصَفَفْتُ عَلَيْهِ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ.

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ نهى أن يُصلى في سبعة مواضع: في المزبلة، والمجزرة، والمقبرة، وقارعة الطريق، وفي الحمام، ومعاطن الإبل، ونهى أن يصلى فوق ظهر بيت الله تعالى.

وروى أيضًا عن عدد من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**».

وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**اجعلوا في بيوتكم من صلواتكم، ولا تتخذوها قبورًا**».

وفي رواية الترمذي أن -عليه الصلاة والسلام- كان يستحب الصلاة في الحيطان، أي: البساتين.

مما تقدَّم من الأحاديث الشريفة يمكن القول: أنه لا يجوز للمسلم أن يدخل الصلاة إلا إذا توفرت له أمور، وهي الشروط اللازمة لصحة الصلاة وتتلخص فيما يلي:

أولاً: الطهارة التامة في الأعضاء والثياب والمكان، وذلك ليبدو المصلي نقي الظاهر كما هو نقي الباطن -إنْ شاء الله، ولتكون مساجد المسلمين وضيئة طاهرة طيبة، وما أجمل أن يضيف المصلي إلى ذلك شيئًا من الطيب، وأن يستعمل السواك؛ فقد كان رسول الله ﷺ يأخذ

زينته عند كل صلاة، ويلتزم السواك، ويحرص على طهارة ثوبه، وحسن منظره استجابةً لأمر الحق ﷻ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

ومن هنا نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة في الأماكن القذرة والكريهة الرائحة كالمزبلة والمجزرة والحمام ومعاطن الإبل (أي: مباركها)، أما نهيه عن الصلاة على قارعة الطريق؛ فلكثرة ما يشغل بال المصلي عن صلاته، وأما نهيه عن الصلاة فوق ظهر بيت الله؛ فلعله تأدب مع بيت الله، وفي مقدمة الطهارة إزالة الحدث الأصغر بالوضوء والحدث الأكبر بالغسل.

ثانيًا: الشرط الثاني لصحة الصلاة هو استقبال القبلة وهي الكعبة المشرفة -زادها الله تشريفًا وتعظيمًا- وتوحيد القبلة في العبادة رمز لتوحيد الوجهة والكلمة والقلوب والأهداف السامية وصفوف الجهاد، وقد صلى النبي ﷺ وهو بمكة المكرمة شطر القدس والمسجد الأقصى، وفعل ذلك ستة عشر شهرًا بالمدينة المنورة حتى حقق الله أمنيته باستقلالية الإسلام، فولاه قبلة كان يحن إليها شطر المسجد الحرام، ومنذ ذلك الحين والكعبة المشرفة رمز وحدتنا وعرفات شعار تعارفنا، ومنى وجهة أمنياتنا والتضحية في سبيل الله أقصى أمانينا.

هذا، ومن جهل القبلة؛ فليسأل وليجتهد وليستعمل خبرته، فإذا اتضح له فيما بعد أنه لم يوفق إلى القبلة، فصلاته جائزة، ولا إعادة عليه، ومن صلى فانحرف بعض الشيء يمينًا أو شمالاً غير عامد؛ فلا شيء عليه، فقد كانت قبلة النبي ﷺ والمسلمين وهم بالمدينة إلى الجنوب تقريبًا مع انحراف قليل إلى الشرق، فقال ﷺ: «**ما بين المشرق والمغرب قبلةٌ**» دفعًا للوسواس، وإذا تأكدت من القبلة بعد دخولك في الصلاة؛ فلا يعدها من الأول يكفي أن تستدير إلى الوجهة الصحيحة، وإذا كان المصلي في سفر على راحلة أو في سفينة أو طائرة أو قطار وخشي فوات الوقت صلى حيث تتوجه به ركابه، والله عفو كريم.

ثالثًا: أما الشرط الثالث لصحة الصلاة؛ فهو ستر العورة تأدبًا مع الله وأدبًا وذوقًا مع العباد، وقد شاع بين كثير من الشباب والفتيات كشف العورات في الشوارع، فترى المرأة تكشف نحرها وساقيها ورقبتها وشعرها مع أن عورة المرأة جميع جسدها ما عدا الوجه والكفين، وعورة الرجل ما بين سرته وركبته، والفخذ عورة مع أن كشف الفخذ أصبح عند

بعض شباب المسلمين عادة تفرضها السراويل القصيرة وخصوصًا أثناء السباحة ولعب كرة القدم والمصارعة وغيرها، أما من لا يملك ما يستره؛ فيصلي جالسًا ولا يسجد إلا إيماءً، وربك غفور رحيم.

إنَّ المرأة المسلمة مطالبة أن تستحي من ربها؛ فلا يبدو شيء من عورتها حتى للنساء، والرَّجل المسلم أيضًا لا يكشف عورته حتى للرجال؛ إذ الحياء من الإيمان، وكأن الذي ينبذ ثوب الحياء يكشف عنه لباس التقوى والإيمان.

رابعًا: الشرط الرابع لصحة الصلاة هو دخول الوقت، فمن صلى صلاة قبل دخول وقتها، فصلاته باطلة؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**﴾ [النساء:١٠٤]، أي أنها كتبت عليهم في أوقات محددة.

وأصحاب الأعذار ممن بهم سلس أو ريح ونحوهما لا يبدءون وضوءهم إلا بعد دخول الوقت؛ لأنه لو توضأ قبل الوقت فلربما تكاثرت عليهم نجاسة العذر قبل حلول فرضهم بوقت طويل.

هذا، وللإسلام حكمة في تحديد أوقات الصلاة؛ إذ لو لم يكن الوقت محددًا لما ضبطت الجماعة ولاضطربت اجتماعاتها المباركة، وللجماعة فضيلة عظيمة وفوائد معروفة وخصوصًا حين يجتمع الناس في مساجد الله متعارفين فيه سبحانه متحابين بجلاله.

أما النوافل؛ فليحرص المصلي أن يصليها في بيته وفي بستانه وعند إخوانه؛ لتعم بها البركة تلك الأماكن، ولكي يكون بيته محفوفًا بالرحمة، وليراه أنباؤه وأهله وهو يصلي الرواتب والنوافل في بيته، فيقتدوا به، ولعل من أجل فوائد الصلاة في البيوت وفي البساتين والبر أن الأرض تشهد للعبد أو عليه، ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾ [الزلزلة: ٤-٥]، فما أجمل أن تشهد للمصلي بقاع متعددة في الأرض بأنه عَبَدَ الله عليها ووحدَّه.

خامسًا: وهذه ملاحظة عن كشف الرأس في الصلاة؛ ففي كثير من البلاد يعتقد بعض المصلين أن تغطية الرأس في الصلاة واجبة، وقد سألت بعض إخواننا الأتراك في تركيا: هل تصلون؟ فأخرجوا لي من جيوبهم طواقي بيضاء إشارة إلى أنهم يصلون، وصليت الجمعة في جامع محمد الفاتح في أسطمبول، فرأيت جميع المصلين يلبسون على رءوسهم طواقي، وقد يربط البعض رأسه بمنديل.

والحق أنه لا حرج أن يصلي المصلي حاسر الرأس، وحسبك أن الحاج المحرم يصلي أيام وهو حاسر، وروى ابن عساكر أن النبي ﷺ كان ربما خلع قلنسوته فجعلها سترة، حتى لقد رأى الأحناف أن حسر الرأس إن كان للخشوع؛ فهو أفضل.

والحق -والله أعلم- أن لباس الرأس أفضل؛ لأنه أقرب إلى قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ [الأعراف: ٣١]، وغطاء الرأس أتم سمتًا ومظهرًا من حسره، ولا أرى أن ذلك يتحقق بربط الرأس بمنديل، ولكن بلبس الغطاء المعروف كالطاقية النظيفة المغطية للشعر والكوفية أو الغترة والعمامة، ونحو ذلك ما يجمل المظهر والمنظر، ويحقق الزينة المطلوبة للصلاة، والله أعلم.

أوقات الصلوات الخمس

هذه أحاديث حول أوقات الصلوات الخمس نوردها؛ لأن في تأخير الصلاة عن وقتها إثمًا عظيمًا، ولأن الصلاة كتابٌ موقوتٌ على المؤمنين أن يلتزموا بتوقيته ويحرص عليه.

في صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ أتاه سائل فسأله عن مواقيت الصلاة، فلم يرد شيئًا، وأمر بلالاً فأقام الفجر حين انشق، والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضًا، ثم أمره فأقام الظهر حين زالت الشمس، والقائل يقول: قد انتصف النهار، وهو كان أعلم منهم، ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة، ثم أمره فأقام المغرب حين وقعت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق، وفي اليوم التالي أخر الفجر في الغد حتى انصرف منها، والقائل يقول: قد طلعت الشمس أو كادت، ثم أخر الظهر حتى كان قريبًا من وقت العصر بالأمس، ثم أخر العصر حتى انصرف منها، والقائل يقول: قد احمرت الشمس، ثم أخر المغرب حتى كان سقوط الشفق، ثم أخر العشاء حتى كان ثلث الليل الأول، ثم أصبح فدعا السائل، فقال: الوقت بين هذين.

وفي رواية لمسلم أنه صلى العشاء إلى شطر الليل.

وفي رواية للشيخين أنه ﷺ كان أحيانًا يؤخر العشاء، وأحيانًا يعجل إذا رآهم اجتمعوا.

obeikandl.com

وروى الجماعة أن المؤمنات كن يشهدن مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن، ثم ينطلقن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة، ولا يعرفهن أحد من الناس.

وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «**من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس؛ فقد أدرك الصبح، ومن أدرك من العصر ركعة قبل أن تغرب الشمس؛ فقد أدرك العصر**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إن شدة الحر من فيح جهنم، فإذا اشتد الحر؛ فأبردوا بالصلاة**».

وفي الحديث المتفق عليه: «**إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة؛ فابدءوا بالعشاء، ولا تعجل حتى تفرغ**».

وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يوضع له الطعام، وتقام الصلاة؛ فلا يأتيها حتى يفرغ، وإنه ليسمع قراءة الإمام.

أولاً: أوقات الصلوات الخمس تبدو في توقيتها حكمة بالغة؛ لأنها تبقي العبد في حالة صلة مستمرة بخالقه، وبذلك تنهاه عن الفحشاء والمنكر بسبب قرب عهده بالوقوف بين يدي خالقه.

فالمصلي لا يكاد يرى أول خيوط الفجر حتى يستقبل يومه بذكر الله والصلاة، فإذا جاء الظهر وأنهى الفترة الأولى من عمل النهار جعل نهاية عمله صلاة الظهر، فما أجملهما حسن بدء وحسن مختتم، ثم تغدَّى وقال وأنهى ساعة قيلولته بدأ الفترة الثانية من عمله بالصلاة الوسطى، فإذا أقبل عليه الليل استقبلته بصلاة المغرب، ثم إذا أراد أن يختم يومه أنهاه بصلاة العشاء، فأحرز بذلك فضل البداية وحُسن الختام.

ثانيًا: أوقات الصلوات حدَّدها جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ، كما يبدو في الحديث الأول؛ فقد صلى جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ أول الوقت وآخره، وجعل في الوقت تيسيرًا على الناس، ولو كان الوقت خاطفًا لفاتت فضيلة الوقت كثيرًا من المصلين.

ثالثًا: يبدأ وقت الظهر إذا زالت الشمس عن وسط السماء، ويمتد حتى يصير ظل كل شيء مثله، هذا في مكة المكرمة والمدينة المنورة، أما في الأقطار الموغلة شمالاً وجنوبًا يقدر

الوقت متناسبًا مع توقيت الحرمين الشريفين لا بالتساوي، ولكن بالتناسب، وإذا كان الحر شديدًا استحب للإمام أن يؤخر صلاة الظهر إلى أن تنكسر شدة الحر، ويصبح للأشياء ظلالاً يمكن أن تتفيأ.

رابعًا: صلاة العصر هي الصلاة الوسطى عند كثير من أهل التفسير، وقد أكد رسول الله ﷺ فضلها بقوله فيما رواه ابن ماجه: «**بكروا بالصلاة في يوم الغيم؛ فإن من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ دعا على المشركين يوم الخندق، فقال: «**ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس**»، ويبتدئ وقتها حين يصبح ظل الشيء مثله، ويمتد إلى أن تغرب الشمس، ويبدأ وقت الكراهية حين تصفر الشمس في الأصيل، والمؤمن يحرص أن يصلي العصر والشمس لا تزال نقية بيضاء ولا يؤخرها إلى أن تصفر الشمس، لكن من صلاها والشمس صفراء أجزأته على كراهة، ففي الحديث المتفق عليه: «**من أدرك صلاة العصر قبل أن تغرب الشمس؛ فقد أدرك العصر**».

خامسًا: صلاة المغرب هي التي يستقبل المؤمن بها ليله، ووقتها حين تغرب الشمس ويمتد إلى أن يتلاشى الضوء المتبقي وراء الشمس، وهو الشفق الأحمر، ويستحب تعجيلها؛ لأن مدى وقتها قصير، ويكره أن تؤخر إلى أن تطلع النجوم، فقد جاء في مسند أحمد: «**لا تزال أمتي على الفطرة ما صلوا المغرب قبل طلوع النجوم**».

سادسًا: إذا غاب الشفق الأحمر، ولم يبق أثر لنور الشمس في السماء دخل وقت العشاء، ويمتد وقتها إلى طلوع الفجر، وإذا صُلِّيت في أول وقتها؛ فهو خير، وإذا ضمت الجماعة وصليت بعد مرور ثلث الليل أو نصفه، فلعل ذلك أفضل؛ لأنها عندئذ تكون فريضةً وقيامًا.

وصلاة العشاء هي التي يودع بها العبد المؤمن يومه، ويكره النوم قبلها والسمر بعدها لاحتمال أن يسبب ذلك ضياع العشاء أو الفجر.

سابعًا: أما وقت صلاة الصبح؛ فيبدأ من طلوع الفجر الصادق، ويمتد حتى طلوع الشمس، والسُّنة أن تُصلى في أول وقتها بغلس؛ لأن ذلك كان فعل النبي ﷺ، ولكن إذا

صلاها المسلم قبل طلوع الشمس، وتمكن من أداء ركعة واحدة؛ فإنها عندئذٍ تجزئه، والله غفور رحيم.

والخلاصة أن المؤمن دومًا تلقاه نشيطًا في أوقات صلاته يؤديها في وقتها وفي بيوت الله مع الجماعة؛ ليكون مع الذين قال الله فيهم: ﴿**رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور: ٣٨].

أوقات الكراهة

كان رسول الله ﷺ ربما يقلِّد أهل الكتاب وأصحاب الملل السابقة إذا وجد لديهم من تراث الخير ما يستحقه الاقتباس؛ فقد رأى اليهود مثلاً يصومون يوم عاشوراء لأنه اليوم الذي نجَّا الله فيه موسى عليه السلام وقومه من آل فرعون، فقال لهم: «**نحن أولى بموسى منكم**»، وأمر بصومه، وعزم في عامه القادم أن يصوم التاسع؛ لتظل للإسلام استقلالية التشريع، ولكي لا يكون تقليدًا حذو القذة بالقذة.

ومما قلَّد النبي ﷺ فيه أهل الكتاب أن اتخذ من بيت المقدس قبلة، وصلى هو وصحبه مدة طويلة شطر القدس، ولكنه ظل يتطلع إلى هداية ربه حتى هداه الله إلى قبلة يرضاها ألا وهي المسجد الحرام، فسعد بذلك حين رأى شخصية الإسلام وقبلة المسلمين مستقلتين.

وقد حاول النبي ﷺ تقليد أهل الكتاب في شكل شعورهم، ففرَّق شعره مثلهم، ثم عاد فسدله، ومن هذا المنطلق حرص رسول الله ﷺ ألا يصلي المسلمون في الأوقات التي توافق صلاة عبَّاد الشمس، فبيَّن للمسلمين أوقاتًا تكره فيها الصلاة (أي: صلاة التطوع)؛ لتظل للإسلام شخصيته المتميزة.

وهذه أحاديث كريمة حول أوقات الكراهة نسوقها - إنْ شاء الله، ثم نتبعها بأحكام مستنبطة منها:

روى مسلم وأصحاب السنن -رحمهم الله- من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: ثلاث

ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن، وأن نقبر فيها موتانا، حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تميل الشمس للغروب حتى تغرب.

وفي «موطأ مالك» و«سنن النسائي» أن رسول الله ﷺ قال مشيرًا إلى عبادة الشمس: «**إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا ثُمَّ إِذَا اسْتَوَتْ قَارَنَهَا، فَإِذَا زَالَتْ فَارَقَهَا فَإِذَا دَنَتْ لِلْغُرُوبِ قَارَنَهَا، فَإِذَا غَرَبَتْ فَارَقَهَا**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب.

أولاً: كانت الشمس عبر ملايين السنين معبودة الملايين من البشر يرون فيها مصدر حياة الأرض؛ لأنها ينبوع الدفء والمطر والنور ناسين أو متجاهلين أن الذي خلقها هو الأولى بالتوحيد والعبادة.

لقد عبد المصريون القدماء الشمس وسموها (رع)، كما عبدها من بعدهم سكان ما بين النهرين وعبدها قوم بلقيس والفرس والهنود واليابانيون، وكانت تلك الشعوب ترقب حركات الشمس عند طلوعها وعند زوالها وعند غروبها، وتستعد لعبادتها عند تلك الأوقات، فجاء الإسلام داعيًا إلى صفاء التوحيد منفرًا من التشبه بالمشركين في أوقات عبادتهم، وعلَّم المسلمين الأوقات التي تكره الصلاة فيها حرصًا على استقلاليتهم في عقيدتهم الشريفة وتنقية قلوبهم من كلِّ شائبة.

ثانيًا: الأربعة المنهي عن الصلاة فيها أربعة أوقات على النحو التالي:

- إذا صليت الصبح؛ فلا تصلِّ بعد الفريضة، أي: صلاة حتى تطلع الشمس.
- وإذا طلعت الشمس؛ فلا تصلِّ حتى ترتفع وينتشر ضوؤها، وترتفع قدر رمح عن حافة الأفق.
- وإذا استوت الشمس في كبد السماء؛ فلا تصلِّ وانتظر حتى تميل نحو الغرب.
- وإذا صليت العصر؛ فلا تصلِّ بعدها حتى تغرب الشمس.

وقد علَّل رسول الله ﷺ كراهية الصلاة في هذه الأوقات بأن الشمس في هذه الأوقات يسجد لها الكفار أو يتأهبون للسجود لها، كما جاء في صحيح مسلم من حديث عمرو بن عنبسة ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة، فقال له: «**صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار...**» إلخ الحديث.

ثالثًا: وقد اختلف الأشياخ -رحمهم الله- في الصلاة التي يكره في هذه الأوقات أهي الصلاة مطلقًا أم هي صلاة النوافل فقط؟ فذهب الحنابلة إلى تحريم النوافل في هذه الأوقات وعدم انعقادها سواء كان لها سبب أم لم يكن لها سبب إلا تحية المسجد يوم الجمعة؛ فإنها تصلى عند دخول المصلي إلى المسجد، ولو كانت الشمس مستوية في كبد السماء كذلك صلاة الجنازة، إذا خيف تعفن الميت.

ويرى جمهور العلماء أنه يجوز قضاء الفوائت بعد صلاة الصبح وصلاة العصر، فإذا فاتتك مثلاً ركعتا سُنة الفجر، فصلها بعد صلاة الفريضة، وهناك رأي مقبول لدى معظم العلماء، وهو أن النافلة التي لا سبب لها هي التي تكره في أوقات الكراهة، بل وتحرم عند الحنابلة.

أما الصلاة التي لها سبب كالفرض الفائت وتحية المسجد وسُنة الوضوء والسُّنن الراتبة إذا فاتت وركعتي الطواف وصلاة الجنازة وسجود التلاوة والصلاة المنذورة؛ فهذه كلها يمكن أن تصلى في أوقات الكراهة.

فإذا دخلت المسجد والشمس قد آذنت للغروب ووجدت بعض المصلين يصلون تحية المسجد، ورأيت آخرين جالسين لم يصلوها؛ فاعلم أن كلا منهم قد أخذ برأي من الأشياخ، ولعل ترك الصلاة في وقت الكراهة أحوط، ولدى المصلي مندوحة في الأوقات الأخرى وهي طويلة وكافية.

رابعًا: إذا نمت عن الوتر ثم قمت وسمعت مؤذن الفجر؛ فلا بأس أن تصلي ركعتي سنة الفجر، ثم تصلي الوتر الذي نمت عنه، والمأثور عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا طلع الفجر لا يصلي إلا ركعتي سنة الفجر، ولا يتنفل فيما بين الأذان والإقامة، لكنه يقضي هذه الفترة في الذِّكر والتسبيح.

خامسًا: إذا شرع المؤذن في الأذان؛ فلا تشرع أنت في صلاة نافلة أو راتبة حتى ينتهي لكي تتابعه، وتقول مثل ما يقول، وتقول بعد الأذان الدعاء المأثور: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ إنك لا تخلف الميعاد**»، وإذا أقام؛ فلا تشرع في صلاة غير التي أقيمت.

إنَّ بعض المصلين إذا دخلوا لصلاة الصبح ورأوا الإمام قد بدأ الركعة الأولى شرعوا يصلون سنة الفجر، يقولون في أنفسهم: إن الإمام يطيل وسننهي الراتبة قبل أن يركع.

إنَّ هذا لا يجوز؛ فقد جاء في صحيح مسلم والسنن أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أقيمت الصلاة؛ فلا صلاة إلا المكتوبة**».

أداء الصلاة في وقتها

هذه بعض الأحاديث الشريفة المتعلقة بأداء الصلاة في وقتها وقضائها إذا مضى وقتها لعذر من نوم ونحوه نوردها ثم نتبعها - إنْ شاء الله- بما يستنبط فيها من أحكام:

جاء في سنن أبي داود: «**مروا أولادكم** (أي: ذكورًا وإناثًا)، **وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها؛ فليصلها إذا ذكرها، فإن الله -تعالى- يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾** [طه: ١٥].

وفي صحيح مسلم وغيره ما خلاصته أن رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه في غزوة، فلما ناموا أخذهم النوم، فلم يوقظهم إلا حرُّ الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء، يا بلال، قُمْ فأذِّن بالناس**»، فتوضأ فلما ارتفعت الشمس وابيضت قام فصلى بالناس جماعة ركعتي الفجر (أي: سنة الصبح)، ثم صلوا الفجر وركبوا، فقال بعضهم لبعض: فرطنا في صلاتنا، فقال -عليه الصلاة والسلام: «**إنه لا تفريط في النوم، إنما التفريط في اليقظة، فإذا سها أحدكم عن صلاته؛ فليصلها حين يذكرها**».

وفي الصحيحين من حديث جابر أن عمر ﷺ جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس

وجعل يسبُّ كفار قريش، وقال: يا رسول الله، ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب، قال رسول الله ﷺ: «**والله ما صليتها**»، فقمنا إلى بطحان فتوضأنا، فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب.

وفي رواية الترمذي والنسائي أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق، وذهب في الليل ما شاء الله، فأمر بلالاً فأذن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ثم أقام فصلى المغرب، ثم أقام فصلى العشاء.

وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «**الذي تفوته صلاة العصر، كأنما وتر أهله وماله**».

أولاً: لا عذر أبدًا لتارك الصلاة حتى المرض والخوف والحرب والقتال فالمسلم يصلي في مرضه وفي خوفه وفي حربه، ولكلٍّ من هذه الأحوال كيفيته وتيسيره؛ فالله -تبارك وتعالى- يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر.

إن المريض قد يتيمم إذا كان الماء يؤذيه ثم هو يصلي قائمًا أو قاعدًا أو مضطجعًا كما يريحه ويتهيأ له، وللخوف صلاة شرحت كيفيتها في سورة النساء.

والمجاهد إذا أدركته الصلاة ساعة الالتحام اكتفى منه بأن يذكر الله بكلمة التوحيد أو حتى بذكر اسم الله، كأن يقول: يا الله، يا رحمن، بنية الصلاة.

وعلى الجملة؛ فالحرص على الصلاة هو سمة المؤمنين في كافة أحوالهم؛ لأن من ترك الصلاة عمدًا فقد كفر.

ثانيًا: قد تفوت على المؤمن صلاة أو أكثر بسبب نوم عميق أو أمر ضروري أو حادث أو غير ذلك، وفي هذه الحال أيضًا لا يجوز إغفال الصلاة، فتؤدى حالما يتذكرها المسلم وتتهيأ ظروف إقامتها، ولا كفارة للصلاة إذا فاتت غير هذا.

ثالثًا: إذا لم يسمع الإنسان النداء بسبب نوم أو غيره ثم استيقظ مثلاً لصلاة الفجر بعد أن طلعت الشمس، فليستغفر الله ويثق بمغفرته ﷻ، ثم يعتبر كأنه شيئًا لم يكن، فيقوم للصلاة ويستعد لها بالغسل إذا لزم أو بالوضوء، ثم يصلي ركعتي الفجر، ويتبعهما بصلاة الفجر المفروضة، وبذلك يكون قد أدى ما عليه من المؤاخذة -إنْ شاء الله.

رابعًا: وإذا فاتت على المصلي أكثر من صلاة كما حدث لرسول الله ﷺ يوم الأحزاب حين اضطرته ظروف الحصار إلى ملازمة المواقع إلى ما بعد العصر، ثم توجه إلى بني قريظة ففاتته صلوات الظهر والعصر والمغرب، فما كان منه إلا أن أمر الصحابة -رضوان الله عليهم- بالوضوء، وصلى الفوائت مرتبة، ثم أتبعها بالعشاء، وكان عمله ذلك تشريعًا بأن الصلاة الفائتة لا كفارة لها إلا قضاؤها.

خامسًا: المغمي عليه إذا أفاق بعد مرور وقت الصلاة لم يجب عليه قضاؤها، والله أعلم؛ لأن وقتها حدث وعقله غائب، وقد رفع عنه القلم، أما إذا أفاق قبل انتهاء وقت الصلاة؛ فإنه يؤديها.

سادسًا: إذا لم يصل المسلم في شبابه وريعان عمره وترك الصلاة تكاسلاً أو عمدًا، ثم هداه الله -جلَّ وعلا- إلى سبيل الرشاد، وبدأ يصلي حين كبر؛ فهل يقضي الصلاة عن السنوات التي ضيعها؟

للأشياخ في هذا الأمر قولان:

أحدهما: أن يحاول قضاء ما فاته، ويقسم ذلك على الأيام حتى يعتقد أنه قضى جميع ما فاته، وهذا مذهب الجمهور، ويرى ابن تيمية -رحمه الله- أن القضاء لا يجزئ في هذه الحالة؛ لأن ترك الصلاة لم يكن سهوًا أو بنوم أو نحوه، لكنه كان عمدًا، وهذا لا يكفر عنه بقضاء الصلاة، وإنما على المؤمن في هذه الحالة أن يُشمِّر عن ساعد الجد بالتوبة النصوح، والبدار إلى الأعمال الصالحة، والإكثار من النوافل، والحسنات -بإذن الله- يذهبن السيئات، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها من حقوق الله، والله -جلَّ وعلا- يقول في من تركوا الصلاة عمدًا وضيعوها: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۞ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

سابعًا: لقد شدَّد رسول الله ﷺ في أمر أداء الصلاة في وقتها وفي جماعة، وحسبك هذه الصيغة المخيفة في قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله**»، ومعناه أن من غفل عن صلاة العصر في وقتها وفي جماعة وهي الصلاة الوسطى، فكأنما ابتلى بقتل أهله ونهب أمواله، لا بموت عادي وخسارة عادية، ولكن باعتداء يترتب عليه النار.

صلاة الجماعة وفضلها

الإسلام دين التوحيد وهو أيضًا دين الوحدة والتضامن والاجتماع على الخير، ومن أجل وحدة المسلمين شرع الإسلام صلاة الجماعة؛ لتثمر الصلاة صداقات في الله وحبًّا في ذاته ومرضاته.

والحقُّ أن التارك لصلاة الجماعة يخسر خسارة فادحة؛ لأنه يحرم نفسه حلاوة اللقاءات الطاهرة وروعة الإخاء المجسم الملموس؛ إذ سكان الحي الواحد إذا التزموا الجماعة أصبحوا كلهم أحبة في الله.

ولقد كنت أرى إلى عهد قريب كيف كان أفراد الجماعة في المساجد يتفقد بعضهم بعضًا، فإذا غاب أحدهم ذهبوا يسألون عنه، فإن وجدوا أن أمرًا ألم به تعاونوا لمساعدته.

وهذه الأحاديث الكريمة أوردها حول موضوع الجماعة وفضلها، ثم نستنبط منها أحكامًا مفيدةً:

في الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمسًا وعشرين ضعفًا** (وفي رواية: «**بسبع وعشرين درجة**)، **وذلك إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطت عنه خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة**».

وفي حديث ابن عباس الذي رواه الترمذي: سئل رسول الله ﷺ عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يشهد الجماعة ولا الجمعة، فقال: «**هو في النار**».

وفي سنن أبي داود والنسائي: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان؛ فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**».

وفي صحيح مسلم أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، وسأل أن يرخص له، فرخص له، فلما ولى دعاه: «**هل تسمع النداء؟**» قال: نعم. قال: «**فأجب**».

وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «**أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة، فتقام ثم آمر برجل فيصلي بالناس، ثم انطلق معي برجال معهم حُزمٌ من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**».

وفي الصحيحين أن معاذًا كان يصلي مع النبي ﷺ ثم يرجع فيصلي بقومه، فأخر النبي ﷺ ليلة العشاء، فصلى معاذ معه، ثم جاء يوم قومه فقرأ «البقرة»، فاعتزل رجل من القوم فصلى، فقيل له: نافقت يا فلان! فقال: ما نافقت، وأتى النبي ﷺ فقال: إن معاذًا يصلي ثم يرجع فيؤمنا فقرأ بسورة «البقرة»، فقال: «**يا معاذ، أفتان أنت؟ اقرأ بكذا وكذا** (يذكر سورًا قصيرة) بـ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾، و﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**﴾.

وفي الصحيحين أيضًا أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: «**إني لأدخل في الصلاة أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي لما أعلم من وجد أمه من بكائه، إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير وذا الحاجة**».

وفي صحيح البخاري أن أبا بكرة انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال له: «**زَادَكَ اللهُ حِرْصًا وَلاَ تَعُدْ**».

وفي سنن أبي داود عن يزيد بن عامر قال: جِئْتُ وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّلاَةِ، فَجَلَسْتُ وَلَمْ أَدْخُلْ مَعَهُمْ فِي الصَّلاَةِ، فَانْصَرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَرَأَى يَزِيدَ جَالِسًا، فَقَالَ: «**أَلَمْ تُسْلِمْ يَا يَزِيدُ؟!**». قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، قَدْ أَسْلَمْتُ. قَالَ: «**فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَدْخُلَ مَعَ النَّاسِ فِي صَلاَتِهِمْ**». قَالَ: إِنِّي كُنْتُ قَدْ صَلَّيْتُ فِي مَنْزِلِي، وَأَنَا أَحْسِبُ أَنْ قَدْ صَلَّيْتُمْ. فَقَالَ: «**إِذَا جِئْتَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَوَجَدْتَ النَّاسَ فَصَلِّ مَعَهُمْ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ صَلَّيْتَ تَكُنْ لَكَ نَافِلَةً وَهَذِهِ مَكْتُوبَةً**».

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «**استووا ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليليني منكم ذوو الأحلام والنهى**»، وكان ﷺ يقول: «**سووا صفوفكم؛ فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة**».

أولاً: صلاة الجماعة مؤشر من مؤشرات الإيمان، يحرص عليها المؤمنون ويستثقلها المنافقون، وقد أمرنا ﷺ أن نشهد لمن يعتادها بالإيمان استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ**

﴿مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

ثانيًا: إذا أرادت المرأة حضور الجماعة لا يمنعها وليها من ذلك، لكن صلاتها في بيتها أفضل لما يمكن أن يترتب على خروجها من فتنة.

ثالثًا: كلما بعد المسجد عن بيتك زاد الثواب؛ لأن من يذهب إلى بيت الله لا يريد إلا الصلاة تكتب له بكل خطوة حسنة، وتمحى عنه خطيئة، وحين أراد بنو سلمة أن يبنوا بيوتهم في جوار المسجد، ويهجروا مساكنهم القديمة نهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك، وذكرهم أن آثارهم أي آثار أقدامهم إلى المسجد تكتب لهم حسنات.

رابعًا: لا يُسعى إلى المسجد جريًا، ولكن يأتي المصلي صلاته بسكينة ووقار، وحين أسرع أبو بكرة ﷺ وركع من رهقه قبل أن ينتظم في الصف، قال له ﷺ: «**زَادَكَ اللهُ حِرْصًا وَلاَ تَعُدْ**».

خامسًا: يستحب للإمام أن يخفف؛ لأن في المأمومين مرضى وشيوخًا ومضطرين، ولكن يستحسن أن يطيل الإمام في الركعة الأولى؛ ليجتمع بعد سماع الإقامة أكبر عدد من المصلين، ويدركوا الركعة الأولى.

سادسًا: مسابقة الإمام في الصلاة إثم؛ لأن الإمام هو قائد القوم، وإنما شرعت الجماعة ليقتدي المصلون به، والمسابقة تعني الفوضى وسوء المنظر وعدم الالتزام بالنظام.

سابعًا: تنعقد الجماعة بإمام ومأموم، ويكون المأموم الواحد في جوار الإمام واقفًا عن يمينه، فإذا جاء مأموم آخر تقدم الإمام قليلاً أو تأخر المأمومان ليقفا خلفه، والطفل المميز يمكن أن ينضم إليه رجل، ويصليا خلف الإمام.

ثامنًا: يجوز أن تؤم المرأة النساء، وكذلك يجوز أن يؤم القوم الأعمى والصبي المميز، وعلى المسلم أن ينتهز الجماعة على كل حال، فيأتم ولو بمسافر أو متنفل أو متيمم أو قاعد أو بصبي إذا علم أن الصبي يميز ويقرأ القرآن، ولا تصح إمامة المعذور لصحيح، وتكره إمامة الفاسق، ولكن تنعقد الصلاة بها، ويؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وأعلمهم بتأويله؛ فإن تساووا فأكبرهم سنًّا، ويجوز أن يؤم الرجل جماعة كلها نساء.

تاسعًا: يجوز أن ينتقل الإمام مأمومًا إذا كان موكلاً، وحضر الإمام الراتب، كما حدث عندما حضر رسول الله ﷺ وأبو بكر يصلي بالناس، فتأخر أبو بكر ليتقدم رسول الله ﷺ، ولكن النبي الكريم ﷺ أمره أن يظل في مكانه.

عاشرًا: إذا حضرت الصلاة في برد شديد أو مطر أو حضر الطعام حين أقامتها أو كنت عند إقامتها تدافع الأخبثين (البول والغائط)، جاز لك أن تؤخر الجماعة إلى أن تنتهي من شأنك.

حادي عشر: من صلَّى منفردًا ثم رأى جماعة يصلون استحب له أن يعيد الصلاة؛ لينال ثواب الجماعة، ويحسبها الله له نافلة.

ثاني عشر: يجوز أن يكون المأموم أعلى من الإمام، ويُكره أن يكون الإمام أعلى من المأمومين، ويجوز أن يكون بين الإمام والمأموم حاجزًا على أن يسمع المأموم القراءة ويدرك حركات الإمام.

ثالث عشر: إذا أحدث الإمام أثناء الصلاة أناب عنه من يُتم الصلاة من حيث وصل، وذهب ليتوضأ إذا وجد فُرجة.

رابع عشر: يكون الرجال أمام الصبيان، ويقف النساء في الخلف؛ إذ خير صفوف النساء آخرها، وإذا حضرت إلى الصلاة ووجدت الصف الذي أمامك كاملاً فاطلب من أحد المصلين أن يتعاون معك، فينضم إليك، فإذا رأيته متشددًا؛ لأنه لا يفقه الحكم فصلِّ وحدك وراء الصف، ولعل الله يبعث إليك بمن يقف إلى جانبك، وقد صلى أبو بكر وحده خلف الصف، فلم يأمره النبي ﷺ أن يعيدها، ولكنه كره ذلك.

خامس عشر: للصف الأول وللصفوف المتقدمة فضيلة، ويمين الصف أفضل من شماله، ويُسن سد الفُرج وتسوية الصفوف، وإذا كانت الجماعة كبيرة ولم تسمع الصفوف المتأخرة صوت الإمام جاز التبليغ؛ لتكون الصلاة منتظمة لا تخالطها الفوضى والتداخل.

ما كان يقرأ رسول الله ﷺ بعد أم الكتاب

يتساءل كثيرٌ من المصلين: ماذا كان يقرأ المصلي من القرآن الكريم في صلاته بعد فاتحة الكتاب؟ وهل يطيل في القراءة أم يقصر؟ وماذا ينتقي من آي الذكر الحكيم للقراءة؟ وكثير من المصلين لا يعدو في قراءته قصار السور، وقد لا يتجاوز منها سورة الضحى، ولهذا رأيت أن أعرض بعض الأحاديث الشريفة حول ما كان يقرأه رسول الله ﷺ في صلاته بعد أم الكتاب سائلاً الله ﷻ أن يرزقنا الأسوة الحسنة برسوله الكريم ﷺ.

روى الجماعة عن أنس ﷺ أنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي الحديث المتفق عليه عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**».

وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أَمَّن الإمام فأمِّنوا؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه**».

وفي سنن النسائي: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الغداة من الستين إلى المائة.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن السائب ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بمكة، واستفتح سورة المؤمنين، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ«ق»، ونحوها، وكانت صلاته إلى تخفيف.

وروى مسلم وأصحاب السُّنن -رحمهم الله- أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: ﴿**الم ۞ تَنزِيلُ الْكِتَابِ..**﴾ السجدة، و﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ**﴾ [الإنسان: ١]، وأنه كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة «الجمعة» و«المنافقون».

وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قرأ في الصبح: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتْ**﴾ في الركعتين كلتيهما،

قال راوي الحديث: «فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْ قَرَأَ ذَلِكَ عَمْدًا».

ووردت في السُّنن أحاديث تفيد أن رسول الله ﷺ قرأ في الظهر والعصر بـ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾ و﴿**السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ**﴾، وقرأ في الظهر بـ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**﴾، وفي الفجر بأطول من ذلك، وصلى فيهما بـ«لقمان» و«الذاريات» وبـ«سبح» و«الغاشية».

وروى الجماعة أنه ﷺ صلى في المغرب بـ«المرسلات»، وفي البخاري أن رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بـ«الأعراف»، وروى الجماعة عن جبير بن مطعم ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بـ«الطور»، قال: فلما بلغ قوله -تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ۞ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ**﴾ [الطور: ٣٥- ٣٧]، كاد قلبي يطير.

وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ كان ربما يقرأ في الركعة سورتين من النظائر كـ«الرحمن» و«النجم»، و«اقتربت» و«الحاقة»، و«الطور» و«الذاريات»، و«الواقعة» و(ن) في ركعة، و«سأل سائل» و«النازعات» في ركعة، و«المطففين» و«عبس»، و«المدثر» و«المزمل»، و«هل أتى» و«القيامة»، و«عم» و«المرسلات»، و«الدخان» و«التكوير».

وروى أبو داود أن قراءة رسول الله ﷺ كانت على قدر ما يسمعه من في الحجرة وهو بالبيت.

وروي أن عمر ﷺ كان يرفع أكثر من ذلك؛ إذ روى البخاري عن عبد الله بن شداد ﷺ أنه قال: سمعت نشيج عمر (أي: بكاءه)، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ**﴾ [يوسف: ٨٦]، وأنا في آخر الصفوف.

أولاً: كثير من أئمة المساجد لا يكاد المأموم يسمع منهم إلا قصار السور، وهي لا شك سور عظيمة مباركة، لكن إلزام قصار السور في الصلاة مخالف لهدى رسول الله ﷺ، حتى لقد جاء في «الموطأ» عن عمرو بن شعيب ﷺ أنه قال: ما من المفصَّل سورة صغيرة ولا كبير إلا وقد سمعت النبي ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة، ولهذا كان على الأئمة أن ينوعوا في القراءة ليسمع المأمومون مواضع متنوعة من كتاب الله، فتتنوع الفائدة وتحصل البركة.

إنَّ من الأئمة من يلتزم في صلاة الجمعة بسورتي «سبح» و«الغاشية» مع أن رسول الله ﷺ كان ينوِّع فيهما، فيقرأ بـ«قاف» و«الجمعة» و«المنافقين» وغيرها.

ثانيًا: يتضح في الأحاديث الشريفة أن رسول الله ﷺ كان يراعي أحوال المصلين في القراءة طولاً وقصرًا ونوعًا، حتى لقد صلى الفجر في السفر بـ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾، و﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ رحمة بالمصلين، وكان ربما يدخل الصلاة وهو ينوي أن يطيل، ثم يقطع القراءة إذا سمع بكاء طفل حتى لا يشتد عليه وَجْد أمه.

وكان لا يرهق نفسه، فإذا ألح عليه سعال مثلاً ركع ولو كان في منتصف قراءته من سور المفصل، وكان في مجموع قراءاته يميل إلى التخفيف، حتى لقد لام معاذًا ﷺ حين علم أنه قرأ بقومه سورة «البقرة» في الفجر، فقال له: «**أفتان أنت يا معاذ؟**».

ثالثًا: لقد كانت صلاة رسول الله ﷺ قصدًا معتدلة، وكانت قراءته واضحة تكاد تنغرس في شغاف الضمائر، وكانت كما أسلفنا متنوعة المواضع، وهذه أهم أسباب التشويق وتحبيب الصلوات إلى النفوس.

والحق أن كثيرًا من الأئمة لا يهتمون بهذه العناصر المشوقة، إما لأنهم لا يستطيعون ذلك، وإما لأنهم يغفلون عنه، وقد سمعت كثيرًا من المصلين يقولون: إن الإمام فلانًا قد حرمنا من الصلاة في المسجد القريب؛ لأنه يهمهم بالقراءة همهمة غير مفهومة، ولأن أكثر صلاته بسورٍ محدود، ولأن الخشوع غير وارد إذا صلينا معه.

إنَّ مسئولية الإمام جسيمة، وما أجمل أن تهتم الدولة بالأئمة، فتعقد لهم دورات دراسية، تعلمهم ذوق الصلاة إلى جانب أعمالها وواجباتها وسننها، وتعلمهم أحكام التلاوة وترتيل القرآن الكريم وسمت الخطابة المقنعة الممتعة المفيدة.

رابعًا: هنالك ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي أن فقه الصلاة غير علم الصلاة، فرب عالم يعرف أدق دقائق الأحكام في الصلاة، ويعلم الناس أدق حركاتها، ثم إذا صلى غاب عنه فقه الصلاة وخشوعها وعظمة موقفها وجليل آثارها، فصدر عنه حركات خالية من نبض الروح وغذاء القلب وتربية النفس، وربَّ رجل يعرف مجملاً من أحكام الصلاة، لكنه حين يؤديها

يستغرق في ألفاظها ومعانيها وحركاتها استغراقًا تسمو به روحه ونفسه وأخلاقه، حتى كأن الصلاة بالنسبة إليه مدرسة إلهية، تربى المؤمنين على أروع أساليب التربية، وإذا هم في صلاتهم خاشعون، وعن اللغو معرضون، وللزكاة فاعلون، ولفروجهم حافظون، ولأماناتهم وعهدهم راعون، ومن عذاب ربهم مشفقون، وبيوم الدين والحساب مصدقون موقنون، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

خامسًا: لفت نظري في قراءة الرسول ﷺ أنه كان يقرأ ما يلامس أحوال الناس من جهاد في موسم الجهاد، وخشوع في أوقات الغفلات، وسمو أخلاقي حين تعربد المطامع، كان يقرأ في فجر يوم الجمعة «السجدة» و«هل أتى»؛ لأن موضوع كلتا السورتين واحد، وهو بداية خلق الإنسان، ثم قصة حياته بين الحسنات والسيئات وبين الإيمان والكفر، ثم خاتمته بين جنة لا تعلم نفس ما أبدعه الله من نعيمها، أو نار ذات أهوال وأغلال وسلاسل وعذاب أكبر، وقرأ في صلاة الفجر ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ**﴾ في كل من الركعتين، ولم يك ساهيًا في ذلك، والله أعلم، ولكن الله أكبر، ما أروع سورة «الزلزلة» بدءًا، وما أجملها ختامًا، فقد سمعها أعرابي فرجع إلى قومه، وهو يقول: كفتني الذرتان، ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الطور: ٣٥- ٣٧].

وانظر إلى الحديث الشريف الذي رواه جبير بن مطعم ﷺ وهو حديث يبيِّن الأثر العظيم الذي كانت قراءة رسول الله ﷺ تتركه في نفوس المأمومين، يقول جبير: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب سورة الطور، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ۞ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ**﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]، كاد قلبي يطير.. الله أكبر، بارك الله تلك القلوب التي تكاد تنخلع وتطير من خشية الله ﷻ.

***

الأذان

للأذان في الإسلام قصة طريفة تتضح في الأحاديث الآتية:

جاء في الصحيحين أن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: «كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلَا تَبْعَثُونَ رَجُلاً يُنَادِي بِالصَّلَاةِ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بِلَالُ، قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ**».

وفي سنن أبي داود وفي صحيح مسلم بمعناه من حديث عمير بن أنس ﷺ أنه قال: اهتم رسول الله ﷺ بجمع الناس للصلاة، فقيل: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضًا، فلم يعجبه ذلك. فذكر له القُمع وهو شبّور اليهود، فلم يعجبه، فقال: «**هذا من أمر اليهود**». فذكر له الناقوس. فقال: «**هو من النصارى**». فانصرف عبد الله بن زيد الأنصاري وهو مهتم لهمِّ رسول الله ﷺ، فأُريَ الأذان في منامه، فغدا على النبي ﷺ فقال: إني لبين نائم ويقظان؛ إذ أتاني آتٍ فأراني الأذان، وكان عمر قد رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يومًا، ثم أخبر النبي ﷺ فقال له: «**ما منعك أن تخبرنا؟**» قال: سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت، فقال رسول الله ﷺ: «**قُمْ يا بلال، فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعل**».

وفي الحديث المتفق عليه: «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن**».

وفي صحيح مسلم: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ؛ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ؛ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**».

وفي صحيح مسلم والسنن: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**».

أولاً: إنَّ الأذان بحق دعوة تامة ألهمها الله ﷻ أصحاب رسول الله ﷺ ليكون لدين

الإسلام نقاؤه وبشاشته، ويتجلى تمامه وكماله، وليظهر هذا الدين العظيم على الدين كله، ولو كره الكافرون، فشتَّان ما بين أن تسمع بوقًا ينفخه نافخ أو جرسًا يقرعه قارع، وبين أن تسمع ذاكرًا لله يدوي صوته: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، والأذان دعوة تامة؛ لأنها اشتملت على ما يسعد الإنسان في معاشه ومعاده، ويرشد الإنسانية إلى سبيل الهدى والحق والإيمان والفلاح.

ما أجمل أن يطرق مسامع الإنسانية بين الحين والحين هاتف باعث قوي يذكرها بكبرياء الله ووحدانيته؛ لتستشعر إخاءها وتنبذ طواغيتها، وبرسالة الله لتقتدي بأنبيائها، ثم يدعوها إلى عبادة ربها، وتُقبل على ما يحقق فلاحها في الدارين، ثم يختم بما بدأ به من تكبير الله وتوحيده.

ما أجمل أن يسمع الإنسان وهو غارق في مكابدة الدنيا صوتًا يذكِّره بأن الله ﷻ أكبر من كل كبير، وأنه مهما كبر شأن الدنيا في عين الإنسان، وكبر بعض الشر في قلبه؛ فالله ﷻ أكبر.

حقًّا إن الأذان بعظمة معانيه وروعة لحنه هو أعظم نسيج للبوق والجرس؛ لأنه صوت حي يعلن أسمى المعاني، أما ذلك فجمادان لأحدهما يُعار وللآخر رنين.

ثانيًا: للأذان قصة خلاصتها أن النبي ﷺ وصحبه -رضوان الله عليهم- تشاوروا في طريقة للإعلان عن الصلاة لكي يحضر الصحابة إليها في وقتها، وكانوا في ذلك الحين يجتمعون في المسجد، فإذا جاء وقت الصلاة قاموا إليها عندما يحضر عدد كبير، فأشار بعضهم أن تنصب راية في مكان مرتفع عند دخول وقت الصلاة، فإذا رآها الناس هرعوا إلى المسجد، وقال آخرون: بل ننفخ في بوق، وقال فريق ثالث: بل نقرع جرسًا، فلم تعجب هذه الآراء رسول الله ﷺ، وكان أقربها إلى نفسه الجرس مما يدل على أن النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام هي أقرب الشرائع إلى الإسلام.

وعاد الصحابة إلى بيوتهم وكلٌّ منهم يفكر في طريقة للإعلان عن الأذان، وكان من بينهم صحابي من الأنصار اسمه «عبد الله بن زيد» فرأى في منامه كأنه يحمل جرسًا، وأن رجلاً سمح الوجه لقيه، فسأله عن شأن الجرس، فقال له: نريد أن ندقه إيذانًا بدخول وقت الصلاة، فقال له: بل أدلك على خير من ذلك، وعلَّمه ألفاظ الأذان وألفاظ الإقامة، فغدا إلى

رسول الله ﷺ وأخبره برؤياه التي رآها، وهو بين النوم واليقظة؛ فسر رسول الله ﷺ بتلك الرؤيا، وأمر عبد الله أن يعلِّم بلالاً ألفاظ الأذان والإقامة، وصادف أن جاء عمر ﷺ، وأخبر رسول الله ﷺ أنه رأى الرؤيا نفسها، وبذلك جاء الخير في جهتين خيرتين، ومنذ ذلك الحين والأذان شعار الصلاة وإعلانها.

ثالثًا: من سمع الآذان، فليقل كما يقول المؤذن، فإذا سمع «**حي على الصلاة.. حي على الفلاح**»، فيقل: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»، يشير بها أن الإقبال على العبادة وطرق دروب الفلاح إنما تمَّ بتوفيق الله وحوله، والعبد لا حول له ولا قوة، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، وإذا سمع المؤذن في صلاة الفجر وهو يقول: الصلاة خير من النوم، فليقل: «**صدقت وبررت**»، وإذا انتهى المؤذن فليصل على رسول الله ﷺ، وليدع له بالوسيلة، وهي منزلة عالية عند الله لا ينالها إلا رسول الله ﷺ إنْ شاء الله.

والمأثور من ذلك أن يقول: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد**».

ويلاحظ أن (مقامًا محمودًا) وصفت بمعرفة مع (مقامًا) نكرة، والنكرة عند أهل اللغة لا توصف بمعرفة.

والجواب أن اللفظ ورد في القرآن الكريم منكرًا في قوله تعالى: ﴿**عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾[الإسراء: ٧٩] ، وبهذا الذكر أصبح كالمعرفة فوصف بها هذا.

وللمؤذنين عند الله أجر عظيم؛ لأنهم يدعون الناس جهارًا إلى عبادة ربهم، ومن أجل هذا كان السلف يحرصون أن يؤذنوا ويتسابقون إلى الأذان لشرف ثوابه.

أحكام الصلوات في الأحداث الطارئة

كان رسول الله ﷺ يربط ربطًا وثيقًا بين أحداث هذه الحياة وبين الصلاة، فكان إذا حزبه أمر من الأمور فزع إلى الله بالصلاة.

وكان من هديه إذا اختلط على الإنسان طرق الخير أن يصلي صلاة الاستخارة، وإذا

ألحت عليه حوائج الدنيا وضيَّق عليه الغرماء أن يصلي صلاة الحاجة، وإذا رأى كسوف الشمس أو خسوف القمر وهما آيتان من دلائل قدرة الله، يذهب إلى بيت الله ليصلي صلاة الكسوف تخوفًا أن يكون الخسوف أو الكسوف مقدمة لعذاب الله، وإذا انقطع المطر وجفت الأرض وقلت المياه يفزع إلى الله بصلاة الاستسقاء، وعلى الجملة فكل أحداث الحياة عند المسلم يلتمس تفريجها عند الله بالعبادة والصلاة.

وهذه أحاديث كريمة توضح طائفة من أحكام الصلوات في الأحداث الطارئة:

جاء في الصحيحين والسنن عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فقام فصلى بالناس فأطال القراءة، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه فأطال القراءة، وهي دون القراءة الأولى، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون ركوعه الأول، ثم رفع رأسه، ثم سجد سجدتين، ثم قام فصنع في الركعة الثانية مثل ذلك ثم سلَّم، وقد تجلت الشمس، ثم قام فخطب الناس فقال: «**إن الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله يريهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة**».

وفي سنن أبي داود عن أنس ﷺ أنه قال: «إن كانت الريح لتشتد فنبادر إلى المسجد مخافة أن تكون القيامة».

وروى أصحاب السنن عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال يذكر استسقاء النبي ﷺ: «خرج رسول الله ﷺ مبتذلاً متواضعًا متضرعًا حتى أتى المصلى فرقى المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير، ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد».

وروى الجماعة عن أنس ﷺ قال: «أصابت الناس سَنة على عهد رسول الله ﷺ، فبينما هو يخطب يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع لنا ربك، فرفع يديه وما نرى في السماء قَزَعَة (وهو السحاب المندق)، فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتى ثار السحاب كالجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، فمطرنا يومنا ومن الغد حتى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي فقال: يا رسول الله، تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ**

وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ».

وفي صحيح البخاري والسنن عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة في القرآن يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر؛ فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.**

اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، قال: **ويسمِّي حاجته»**.

وفي جامع الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى الله حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ لْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ لْيُثْنِ عَلَى الله وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، لاَ تَدَعْ لِي ذَنْبًا إِلاَّ غَفَرْتَهُ، وَلاَ هَمًّا إِلاَّ فَرَّجْتَهُ، وَلاَ حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلاَّ قَضَيْتَهَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»**، وفي زيادة: «**ثُمَّ يَسْأَلُ اللهَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَا يشَاءَ»**.

أولاً: ما أجمل أن يفزع المسلم إلى الله في كل حوائجه؛ فإنه ﷻ هو البر الرحيم والعفو الكريم والتواب الحكيم، لقد كان الناس في جاهليتهم أكثر من ينسبون الأحداث الكونية والظواهر الطبيعية إلى الجن والشياطين والأرواح الشريرة، فيفزعون إليها، ويعوذون برجال من الجن، ويتعلمون الخوف، فجاء الإسلام يعزو كل آية وظاهرة إلى الله ﷻ اللطيف الخبير والعزيز الجبار والقادر القاهر، وبهذا الاعتقاد نجد المؤمن المسلم القوي القلب لا يطأطئ هامته إلا لله الواحد القهار، ثم هو بعد ذلك لا يقيم وزنًا للشعوذة والخزعبلات لعلمه أنه لا نافع ولا ضار إلا الله، ولهذا تجده في كل أمره من شدة ورخاء لا يستعين إلا به، ولا يعبد إلا إياه.

ثانيًا: إذا حِرْتَ في أمرٍ فادرسه من جميع جوانبه، وشاور فيه أصحاب الرأي والمعرفة

والاختصاص، فإن ظل في نفسك بقايا حيرة؛ فصلِّ صلاة الاستخارة، وهي ركعتان عاديتان من غير الفريضة، ولو كانتا تحية المسجد أو بعض السنن الرواتب تصليها في خشوع، فإذا انتهيت توجهت إلى الله ﷻ بهذا الدعاء المأثور: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب**».

«**اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر، (ويسمِّي حاجته) خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به**».

ثالثًا: إذا أذنبت ذنبًا، فقمْ فصلِّ ركعتين على نية التوبة، واستغفر الله يغفر لك.

رابعًا: إذا رأيت الخسوف أو الكسوف فافزع إلى المسجد، وهناك ستسمع من ينادي: «الصلاة جامعة»، ويصلي الإمام بالمصلين ركعتين، يركع في كل واحدة منهما ركوعين، ويقرأ القرآن ويطيل قبل الركوع الأول وبعد الركوع الأول، ويستمر في القراءة والدعاء حتى يتجلى القمر.

خامسًا: إذا انقطع المطر فصلِّ في ساحة عامة، كمصلى العيد مع الإمام ركعتي الاستسقاء وهما كركعتي العيدين يكون قبل الفاتحة تكبيرات سبع في الأولى، وخمس في الثانية، وإذا انتهى الإمام من الصلاة فسوف تراه يصعد المنبر، فيخطب الناس مرغبًا إياهم في الطاعة محذرًا لهم من المعصية؛ لأن نزول المطر وثيق الصلة بالطاعة، يقول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٦]، ثم إذا حوَّل الإمام ملابسه أي قلبها، فاقلب ملابسك؛ لتبدو متبذلاً خاشعًا، وأمِّن على دعاء الإمام وهو يستسقي ويبكي.

وهنالك لون آخر من طريقة الاستسقاء، وهو أن يدعو الأئمة في صلاة الجمعة بالدعاء المأثور، والله عنده خزائن الرحمة ينفق كيف يشاء، وقصارى القول: إن المؤمن دوامًا يكون مع الله في السراء والضراء صابرًا وشاكرًا.

ما يمنع وما يجوز من الأعمال في الصلاة

هنالك أفعال يظن البعض أنها ممنوعة في الصلاة مع أنها جائزة، وثمة أفعال يرونها جائزة في الصلاة مع أنها ممنوعة.

وهذه طائفة من الأحاديث الكريمة فيها ذكر لما يمتنع من الأعمال في الصلاة ولما يجوز منها:

- جاء في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: كنا نسلم على النبي ﷺ في الصلاة، فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلَّمنا عليه، فلم يرد علينا، فقلنا: يا رسول الله، كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا، فقال: «**إن في الصلاة لشغلاً**».

- وفي صحيح مسلم أن معاوية بن الحكم قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ؛ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم. فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمِّتونني سكت، فلما صلى النبي ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني فقال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**».

- وفي صحيح البخاري أن معاذ بن جبل ﷺ صلى الفجر بأهل اليمن، فقرأ في الصبح سورة النساء، فلما قال: ﴿**وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾ [النساء: ١٢٥] ، قال رجل خلفه: لقد قرَّت عين أم إبراهيم، فلم يأمره معاذ بإعادة الصلاة.

- وفي الأوسط للطبراني أن النبي ﷺ تكلم في الصلاة ناسيًا، فبنى على ما صلى.

وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ سئل عمن يسوي التراب حيث يسجد، قال: «**إن كنت فاعلاً فواحدة**».

- وفي الحديث المتفق عليه أن عائشة -رضي الله عنها- سألت النبي ﷺ عن الالتفات في الصلاة، قال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**».

- وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في**

الصلاة، لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم».

- وفي سنن الترمذي والنسائي أن رسول الله ﷺ كان يلحظ في الصلاة يمينًا وشمالاً ولا يلوي عنقه.

- وروى البخاري أن عائشة -رضي الله عنها- كانت تكره أن يجعل المصلي يده في خاصرته، وتقول: «إن اليهود تفعله».

- وفي سنن أبي داود أن إسماعيل بن أمية سأل نافعًا عن الرجل يصلي وهو مشبك يديه فقال: «تلك صلاة المغضوب عليهم».

- وفي سنن أبي داود وجامع الترمذي أن رسول الله ﷺ صلى بقباء، فجاءته الأنصار يسلمون عليه وهو يصلي، فكان يرد عليهم مشيرًا بيده يبسطها، ويجعل بطنها إلى أسفل وظهرها إلى فوق.

- وروى أصحاب السنن عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: جئت يومًا من خارج ورسول الله ﷺ يصلي في البيت والباب عليه مغلق فاستفتحت، فتقدم وفتح لي ثم رجع القهقري إلى مصلاه فأتم صلاته.

- وروى أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال: «**اقتلوا الأسودين في الصلاة: الحية والعقرب**».

- وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ كان يصلي وعائشة -رضي الله عنها- معترضة بينه وبين القبلة كاعتراض الجنازة.

هذا، وكثير من الناس يروي حديث رسول الله ﷺ الذي جاء في صحيح مسلم بأن الصلاة يقطعها الحمار والمرأة والكلب الأسود، وقد يرويه أمام بعض النساء فيخرج عواطفهن، وإن هذا الحديث كانت إذا سمعته عائشة -رضي الله عنها- تقول: «قُرنَّا بدواب سوء».

وتعارضه أحاديث صحيحة منها ما رواه الجماعة أن رسول الله ﷺ صلى العصر وبين يديه كلبة وحمارة ولم يأمر برجوعهما، ولعل الحديث الأول ينهى عن الصلاة في مكان يكثر فيه مرور الحيوانات والنساء الأجنبيات وبخاصة المتبرجات، والله أعلم.

- وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم المارُّ بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرًا له من أن يمر بين يديه**».

- ووردت أحاديث أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بحضور الطعام، ونهى أن يصلي المصلي وهو يدافع الأخبثين، ونهى أن يغمض عينيه في الصلاة، ونهى أن يصلي المسلم حيث تمر بين يديه كلاب أو خنازير أو يهود أو مجوس، أو أن يصلي خلف النيام والمتحلقين والمتحدثين، وأمر أن يتخذ المصلي سترة؛ فإن لم يجد فلينصب عصا، فإن لم يجد فليخط خطًّا.

- وفي سنن أبي داود والنسائي أن رسول الله ﷺ كان يبكي في الصلاة، فكأنه يسمع لصدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء.

أولاً: يجوز لك في الصلاة عند الحاجة أن تلتفت يمينًا وشمالاً على ألا تلوي عنقك خلف ظهرك، أما إذا كان الالتفات لغير حاجة فهو عندئذ اختلاس يختلسه الشيطان من صلاتك.

ثانيًا: يجوز لك في الصلاة أن تمشي مشيًا يسيرًا عند الحاجة، كما فعل رسول الله ﷺ حين فتح لعائشة الباب، وهو يصلي دون أن يتحول عن القبلة.

ثالثًا: ويجوز أن تحمل طفلاً وأنت تصلي، كما فعل رسول الله ﷺ حين صلى إمامًا، وهو يحمل حفيدته أمامة بنت أبي العاص يضعها إذا سجد، ويحملها إذا قام، وفي هذا العمل من الرحمة والصلة ما يعلم الدنيا كلها كيف يكون الخلق العظيم. تُرى ماذا كان شعور ابنته زينب حين رأته ﷺ في سبيل راحتها يحمل طفلتها أمامة إلى المسجد ليريح زينب، ويحتضن طفلتها في صلاته.

رابعًا: ويجوز للمصلي إذا سلَّم عليه مسلم أن يرد بالإشارة بيده أو برأسه أو بإصبعه.

خامسًا: الكلام القليل الذي له فائدة قد يعفى عنه في الصلاة، فيجوز للمأموم مثلاً أن يسبِّح منبهًا الإمام إلى خطئه، وأن يفتح عليه بالقرآن، وإذا فرضنا أن إمامًا مثلاً قرأ جهرًا في صلاة سرية، فسبَّح من خلفه من المأمومين، فلم يدرك، جاز للمأموم أن يقول عبارة موجزة جدًّا كأن يقول: «إنها العصر»، أو يقول: «القراءة سرًّا». أما المرأة؛ فتصفق للحادث ينوبها في الصلاة.

سادسًا: حمد الله في الصلاة إذا بُشرت بنعمة أو عطست جائز، ولكن لا تشمت العاطس وأنت في الصلاة.

سابعًا: يجوز لك أن تصلي وإنسان معترض أو نائم في قبلتك، والأفضل أن تتخذ بينك وبينه سترة.

ثامنًا: يجوز لك في الصلاة أن تبكي وتتأوه، وإذا كان ذلك من خشوع، فثوابه عظيم؛ فالعين التي تبكي من خشية الله لا تمسها النار.

تاسعًا: إذا رأيت حيةً أو عقربًا أو زنبارًا أو حشرة مؤذية فاقتلها، ولو أحوج أن تركض يمينًا وشمالاً، ثم عد إلى صلاتك، وأكمل من حيث توقفت.

عاشرًا: يجوز أن تتنحنح في الصلاة لحاجة، كما يجوز أن تقرأ من المصحف في الصلاة، كما أن انشغال القلب بالأفكار والأعمال التي ليست من الصلاة لا يفسد الصلاة.

أما مكروهات الصلاة؛ فمنها العبث بالثوب أو اليدين والرجلين لغير الحاجة، ويكره أن تقف متخصر يد أي: واضعًا يديك على خصريك.

ومن مكروهات الصلاة رفع البصر إلى السماء، وإغماض العينين، والإشارة باليدين عند السلام، والنظر إلى أمر يلهيك كصور ومجلة أمامك أو جريدة.

هذا، ويكره أن تصلي إذا حضر الطعام أو أن تصلي وأنت يزحمك البول أو الغائط أو أن تصلي والنوم يغالبك أو أن تصلي في مكان خاص من المسجد لا تبرحه.

وإذا كثرت الحركات وتجاوزت حدها في الصلاة أبطلت صلاتك، وكذلك من مبطلات الصلاة الكلام فيها، وترك ركن من أركانها أو شرط من شروطها، وتبطل الصلاة بالضحك الذي يسمع فيه الصوت. وما أجمل أن تفكر في الصلاة في معاني الأقوال وحكمة الأفعال، وما تقيده الصلاة من أخلاق وفضائل لتنهاك عن الفحشاء والمنكر.

***

obeikandl.com

صلاة أصحاب الأعذار

لبيان صلاة أصحاب الأعذار نذكر هنا بعض الأحاديث، ثم نتبعها بالأحكام المستنبطة من تلك الأحاديث:

- جاء في صحيح البخاري عن عمران بن حصين ﷺ أنه قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة، فقال: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنبك**»، وفي زيادة للنسائي: «**فإن لم تستطع فمستلقيًا**، ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة:٢٨٦].

- وفي سنن النسائي عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: رأيت النبي ﷺ يصلي متربعًا.

- وفي الصحيحين عن ابن خيثمة أن طائفة صفت مع النبي ﷺ وطائفة وجاه العدو، فصلى بالتي معه ركعة وثبت قائمًا، فأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالسًا فأتموا لأنفسهم ثم سلم.

- وفي مسند أحمد وسنن أبي داود عَنِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أُنَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ الْهُذَلِيِّ -وَكَانَ نَحْوَ عُرَنَةَ وَعَرَفَاتٍ- فَقَالَ: «**اذْهَبْ فَاقْتُلْهُ**». قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَحَضَرَتْ صَلاَةُ الْعَصْرِ، فَقُلْتُ: إِنِّي لأَخَافُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا إِنْ أُؤَخِّرُ الصَّلاَةَ، فَانْطَلَقْتُ أَمْشِي وَأَنَا أُصَلِّي أُومِئُ إِيمَاءً نَحْوَهُ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ، قَالَ لِي: «مَنْ أَنْتَ؟» قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَجْمَعُ لِهَذَا الرَّجُلِ (أي: تجمع الرجال لقتال محمد)، فَجِئْتُكَ فِي ذَاكَ. قَالَ: إِنِّي لَفِي ذَاكَ، فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي عَلَوْتُهُ بِسَيْفِي حَتَّى بَرَدَ (أي: مات).

أولاً: الإسلام دين اليسر أكرمنا ربنا به، وما جعل علينا منه من حَرج، وقد أوصى رسول الله ﷺ معاذًا وأبا موسى حين أرسلهما إلى اليمن، فقال: «**يسِّرا ولا تُعسِّرا**»، ومن ثم فإن أصحاب الأعذار يأتون من العبادة ما استطاعوا، ويعفو عنهم ربهم فيما لا يطيقون.

يقول ربنا ﷻ وهو يتحدث عن عبادة الجهاد: ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾ [الفتح: ١٧].

ثانيًا: المريض الذي يضره الماء يتمم، والذي يضره الوقوف يصلي جالسًا أو مضطجعًا أو على أي وضع يريحه، ويأتي من الركوع والسجود ما يستطيعه إيماءً أو حركة خفيفة، ويكتب له برحمة الله ومنه مثل ما يكتب لمن يصلي قائمًا وأكثر، إذا صح القصد وخلصت النية، وإذا اقتضى الأمر أن يصلي مستلقيًا جاء بجميع أعمال الصلاة إيماءً.

ثالثًا: المستحاضة ومن به سلس بول يتخذان الاحتياط اللازم، ويتوضآن لكل وقت، ثم لا تضرهما ولا تفسد عبادتها بعدئذٍ النجاسة، ولو أحسا بها تتدفق الملابس.

رابعًا: الخائفون من الأعداء والمتوقعون لغاراتهم يقسمون أنفسهم إلى طائفتين طائفة تتسلح وتوجه الأبصار وشطر الأعداء، وطائفة أخرى تقوم فتصلي إلى القبلة، تنوي بتكبيرة الإحرام مع الإمام، وتصلي معه ركعة، حتى إذا وقف الإمام للركعة الثانية ظل واقفًا وأكملوا لأنفسهم، حتى إذا سلموا والإمام واقف انصرفوا إلى الحراسة مواجهين للأعداء، وجاء إخوانهم الذين لم يصلوا، وصلوا الركعة المتبقية مع الإمام حتى إذا جلس للتشهد قاموا هم وأكملوا الركعة الثانية، وظل الإمام في جلسة تشهده ينتظرهم، حتى إذا أتموا سجودهم وتشهدوا سلم الإمام وسلموا بتسليمه، وفي صلاة المغرب يجوز أن يصلي الإمام بالأولين ركعتين وبالتالين ركعة بنفس الطريقة التي ذكرناها، أو أن يفعل العكس فيصلي بالأولين ركعة وبالتالين ركعتين.

خامسًا: هنالك شكل آخر من الصلاة هو صلاة الطالب والمطلوب، فلو أن جنديًّا مسلمًا كلَّفه قائده المسلم أن يتربص لضابط من جيش الأعداء ويقتله، فتربص له ورآه فعلاً؛ فإنه عندئذ أدرك فرصة لا تعوض، وعليه أن ينتهزها وألا يحول بصره عن صيده مهما كثرت حركاته، وإذا حضرته صلاة أو أكثر، فما يجوز أن تكون الصلاة سببًا في ضياع هذه الفرصة للإسلام والمسلمين، ولهذا فإن الجندي المسلم في هذه الحالة يظل موجهًا بصره إلى العدو المطلوب، ويومئ بالصلاة إيماءً، ولا يبالي أن يكون توجهه شطر القبلة أو في أي اتجاه آخر.

ويؤدي أركان الصلاة وأقوالها وأفعالها وهو قائم يومئ إيماءً بتكبيرة الإحرام والفاتحة، ثم يومئ بالركوع والسجود ويسبح وهو قائم ويتشهد وهو قائم، ويظل كذلك مهما طال

الزمن حتى تمكنه الفرصة من عدو الله، فينفذ مأموريته الجليلة.

ومثل ذلك يحدث حينما يكون المسلم مطلوبًا يتعقبه ظالم، كما لو تعقبت دورية صهيونية أحد المجاهدين أنه عندئذ يظل مترقبًا موجهًا وجهه صوب المكان الذي يمكن أن يقبل منه الأعداء، وإذا حضرته الصلاة لم يحوِّل وجهه عن جهة الأعداء ويصلي إيماءً، ويفعل ذلك كل من يطارده عدو ظالم يريد أن يضره في نفسه أو ماله، وكل من خاف على نفسه أو ماله أو أهله من عدو أو لص أو حيوان مفترس.

وقد كانت قصة عبد الله بن أنيس ﷺ مثلاً من ذكاء المؤمن وفطنته وكيسه، فقد كلَّفه رسول الله ﷺ أن يقتل مشركًا حاقدًا اسمه «خالد بن سفيان الهذلي» كان لا يفتأ يحرض على رسول الله ﷺ، ويجمع الكافرين على قتاله.

فانبرى عبد الله بن أنيس يلاحقه ويلاحظه ويترقب حتى رآه فسلط بصره عليه، فحضرت صلاة العصر، وخاف عبد الله بن أنيس ألا يتمكن من قتله بسهولة فتطول المقاتلة وتضيع عليه الصلاة، وعندئذ صلى عبد الله العصر إيماءً بحيث لم يحوِّل وجهه عن الكافر، ولو طرفة عين، ولا يبالي أن يكون شطر القبلة أو أي جهة أخرى، حتى إذا دنا منه كلَّمه وأظهر له أنه يريد الانضمام إلى الجيش الذي كان يجمعه لقتال محمد، حتى إذا اطمأن الكافر إليه سار معه حتى انتهز منه غرة، فعاجله بضربة سيف قضت عليه.

سادسًا: المسافر يقصر الصلاة الرباعية، ويجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، كما يجوز الجمع في المطر، ويجوز الجمع للمريض، ومن ركب سفينة أو قطارًا أو طائرة صلى كيفما تيسر له مهما تغير اتجاه السفينة أو القطار أو الطائرة عن القبلة.

صلاة الوتر

سئل أحد الذين أسلموا وكان من قبل نصرانيًّا: ماذا وجدت في الإسلام جديدًا بعد أن هداك الله إلى دين الحق؟ فذكر أشياء كثيرة منها صلاة الوتر.

قال: إنَّ النصرانية تذكرك الله في الأسبوع مرة حين تدخل الكنيسة يوم الأحد، أما

الإسلام فيذكِّرني ربي دون انقطاع، وإذا صليت خمس مرات في اليوم والليلة ذكرت الله في المساء وفي الصباح وعشيًا وفي الظهر وقبل الأصيل، وإذا ذكرت ربي في أي ساعة من النهار امتلأ قلبي بخشيته فابتعدت عما يغضبه، ولأن الأرض كلها مسجد في نظر الإسلام أراني أشتاق دومًا إلى أن أذكر الله في أرجاء هذا المسجد الواسع والمحراب العظيم، وإذا رأيت ملكوت السموات والأرض وما يتجلى فيهما من آياته الباهرة وحكمته القاهرة ومخلوقاته الظاهرة وأكوانه العامرة خشعت في محراب الفكر مؤمنًا بتلك القدرة القادرة.

نعم إن الإسلام دين الفكر والقرآن ميسر للذكر وأركان الإسلام كلها ما هي إلا صلات متجددات وأنوار هاديات، تنير للمؤمن طريق السعادة والهداية والأخلاق.

هذه المقدمة أسوقها لأتحدث عن صلاة كان رسول الله ﷺ يحرص عليها في الحضر والسفر، وذلك لأنها ختام مسك الحياة اليومية، ولأنها ضمان للمؤمن أن يبيت بإذن الله على طهارة، وأن يبعث إلى الله طاهرًا إذا أراد الله له أن يتوفى في منامه.

وهذه أحاديث كريمة حول صلاة الوتر نسوقها، ثم نستخلص منها - إن شاء الله- فضل تلك الصلاة وأحكامها:

- جاء في سنن أبي داود عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال: «**الوتر حقٌّ، فمن لم يوتر فليس منا**».

- وروى أصحاب السنن من حديث علي ﷺ أنه قال: «الوتر ليس بحتم كالصلاة المكتوبة، ولكن سنة رسول الله ﷺ، فقال: «**إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن**».

- وروى مالك وأبو داود والترمذي أَنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي كِنَانَةَ يُدْعَى الْمُخْدَجِيَّ سَمِعَ رَجُلاً بِالشَّامِ يُدْعَى أَبَا مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: إِنَّ الْوِتْرَ وَاجِبٌ. قَالَ الْمُخْدَجِيُّ: فَرُحْتُ إِلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ عُبَادَةُ: كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ الله عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الله عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا**».

- وفي سنن أبي داود: «**الوتر حق على كل مسلم، فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل،**

ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل»، وفي زيادة: «**ومن أراد أن يوتر بسبع فليفعل**».

- وفي سنن أبي داود أيضًا: كان رسول الله ﷺ يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمانٍ وثلاث وعشر وثلاث، ولم يكن يوتر بأنقص من سبع، ولا بأكثر من ثلاث عشرة.

- وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا أردت أن تنصرف فاركع ركعة، توتر لك ما صليت**».

- وروى النسائي والترمذي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُوتِرُ بِثَلاَثِ رَكَعَاتٍ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الأُولَى بِـ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾، وَفِي الثَّالِثَةِ بِـ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾، وَيَقْنُتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ، فَإِذَا فَرَغَ قَالَ عِنْدَ فَرَاغِهِ: «**سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**»، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يُطِيلُ فِي آخِرِهِنَّ.

- وروى الترمذي وأبو داود من حديث خارجة بن حذافة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أمدَّكم الله بصلاة هي خير لكم من حمر النعم، وهي الوتر فجعلها لكم فيما بين العشاء الآخر إلى طلوع الفجر**».

- وجاءت الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ أوتر من كل الليل من أول الليل وأوسطه وآخره فانتهى وتره إلى السحر.

- وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من خاف ألا يقوم من آخر الليل، فليوتر أوله ثم ليرقد، ومن طمع أن يقوم من آخر الليل، فإن الصلاة آخر الليل مشهودة محضورة، وذلك أفضل**».

- وفي جامع الترمذي: «**من نام عن الوتر أو نسيه، فليصله إذا ذكر أو استيقظ**».

- وفي صحيح البخاري: «**إِذَا أَوْتَرْتَ مِنْ أَوَّلِهِ، فَلاَ تُوتِرْ مِنْ آخِرِهِ**»، **وفي زيادة: «لا وتران في ليلة»**.

أولاً: صلاة الوتر سنة مؤكدة حثَّ عليها رسول الله ﷺ لما فيها من فوائد جليلة؛ إذ هي تكون في الليل حيث الصلاة مشهودة، ثم إن الإنسان ينام بعدها طاهرًا ذاكرًا، فيكون قد ختم يومه بأفضل حال.

ثانيًا: وقت صلاة الوتر أي ساعة من الليل من أوله إلى آخره، ومن نسيها أو نام عنها، فليصلها إذا استيقظ ولو من نهار اليوم التالي، وإذا وثقت بمشيئة الله أنك تستطيع القيام ليلاً متى شئت، فأخِّر الوتر إلى منتصف الليل أو أخِّره حيث الهدوء الساجي يوحي إليك بالخشوع، وإلا فلتكن صلاة الوتر أول الليل.

ثالثًا: يمتد عدد ركعات الوتر من ركعة واحدة إلى ثلاث عشرة ركعة، وقد صلى سعد بن أبي وقاص ومعاوية -رضي الله عنهما- الوتر واحدة.

رابعًا: كيفية صلاة الوتر مثنى مثنى، ثم تختم بواحدة، ويجوز أن تصلي الركعات حتى إذا هممت بالانتهاء تشهدت، ثم قمت لتصلي ركعة واحدة.

ووردت السُّنة الصحيحة أن رسول الله ﷺ كان ربما يصلي سبعًا أو خمسًا لا يفصل بينهما بسلام ولا بكلام.

خامسًا: تقرأ في صلاة الوتر بما تشاء، وبخاصة بـ«سبح»، و«قل يا أيها الكافرون»، و«قل هو الله أحد»، وإذا صليت الركعة الأخيرة، فاقنت إما قبل الركوع، وإما بعد قولك: «سمع الله لمن حمده»، وذهبت الشافعية أنه لا قنوت في الوتر إلا في النصف الثاني من شهر رمضان المبارك.

سادسًا: إذا أنهيت الوتر بما تشاء بعد أن تقول: سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح، لا توتر وترين في ليلة واحدة، واقض الوتر إذا فاتك، وإذا أوترت أول الليل ثم بدا لك أن تصلي في جوف الليل، فصلِّ قيام الليل مثنى مثنى ولا تعد ركعة الوتر.

سابعًا: قد ذهب أبو حنيفة إلى أن صلاة الوتر واجبة، والصحيح أن لا واجب في الصلوات إلا ما أوجب الله، وهي الصلوات المكتوبة، أما الوتر؛ فسنة مؤكدة حرص عليها الرسول ﷺ وأوصى بها.

ثامنًا: كان أبو بكر ﷺ يوتر من أول الليل وكان عمر ﷺ يوتر من آخر الليل، وروى أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «**أخذت بالحزم**»، وقال لعمر ﷺ: «**أخذت بالعزم**»، والحزم والعزم كلاهما خير بإذن الله.

أنواع السجود

إذا أردت أن تكون قريبًا من الله ﷻ وأن تتمتع بنفحاته وتجليه، فاسجد له وسبِّحه في سجودك، فإن أقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد.

ألا تراه ﷻ يعلمنا في محكم آياته أن نخلع طاعة كل طاغية، وأن نتقرب من ربنا ﷻ بالسجود لجلاله، فيقول لرسوله الكريم ﷺ في معرض ذكر أبي جهل: ﴿**كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾ [العلق: ١٩].

والسجود أنواع، فمنه ركن الصلاة المعروف الذي نكرره في كل ركعة مرتين، ومنه سجود السهو، وسجود التلاوة، وسجود الشكر.

وهذه أحاديث من الهدي النبوي حول أنواع السجود نوردها ثم نستنبط ما ورد فيها من الأحكام:

- روى الجماعة أن رسول الله ﷺ قام من اثنتين من الظهر لم يجلس بينهما، فلما قضى صلاته سجد سجدتين، ثم سلَّم بعد ذلك.

- وفي صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ: «**إذا شكَّ أحدكم في صلاته، فلم يدر كم صلى ثلاثًا أو أربعًا؛ فليطرح الشك، وليبن على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى خمسًا شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتمامًا لأربع كانتا ترغيمًا للشيطان**».

- وفي الصحيحين والسنن أن النَّبِي ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى خَشَبَةٍ فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، وَفِي الْقَوْمِ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَخَرَجَ سَرَعَانُ النَّاسِ فَقَالُوا: قَصُرَتِ الصَّلاَةُ. وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ كَانَ النَّبِيُّ يَدْعُوهُ ذَا الْيَدَيْنِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَنَسِيتَ أَمْ قَصُرَتْ. فَقَالَ: «**لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تَقْصُرْ**». قَالُوا: بَلْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**صَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ**». فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ، فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، ثُمَّ وَضَعَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ.

- وفي صحيح مسلم: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا**

ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار».

- وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد، حتى ما يجد أحدنا مكانًا لوضع جبهته في غير وقت الصلاة.

- وفي صحيح البخاري أن عمر ﷺ قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل، حتى جاءت السجدة فنزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس إنما نمرُّ بالسجود فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه ولم يسجد عمر.

- وفي سنن أبي داود وجامع الترمذي: قال أبو بكرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه أمرُ سرورٍ أو بُشِّر به خرَّ ساجدًا شاكرًا لله تعالى.

- وفي سنن أبي داود: قال عمرو بن العاص ﷺ: أقرأني رسول الله ﷺ خمس عشرة سجدة في القرآن، منها ثلاث في المفصَّل، وفي سورة الحج سجدتان.

- وروي أنه ﷺ صلّى ركعتين يوم بُشِّر برأس أبي جهل.

أولاً: ما أجمل أن تتذكر نعم الله الجليلة وآلاءه الجميلة، فتتوَّجه إليه بالخضوع، وتذري بين يديه الدموع، وتخر ساجدًا بين يديه، تمرغ الوجه خشوعًا لجلال وجهه الكريم، وتعنو بوجهك للحي القيوم شاكرًا لأنعمه طالبًا لمرضاته منيبًا بالتوبة إليه، إنك حينئذ تكون قريبًا جدًّا من رحاب قدسه وإشراق نوره ونفحات لطفه وقبوله.

ويبدو أن السجود للعبد لم يكن ممنوعًا في بعض الأديان السابقة، فقد سجد ليوسف عليه السلام إخوته، ومن قبل سجد الملائكة لآدم عليه السلام، فلما جاء الإسلام بالهدى ودين الحق عَلَّمَ المسلمين ألا يسجدوا إلا لله، وألا يعفروا جباههم الشماء إلا بين يدي عظمته وكبريائه.

ثانيًا: إذا تلوت القرآن الكريم فمررت على آية من آيات السجود، فمن السُّنة أن تسجد وأن يسجد بسجودك كل من يسمع قراءتك، وتكون أنت في هذه الحال إمامًا للساجدين، فإذا جلست من سجدتك جلسوا معك.

ومواضع السجود في القرآن خمسة عشر موضعًا أولها في آخر سورة «الأعراف»، وآخرها في سورة «العلق»: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾.

ثالثًا: سجود التلاوة سُنة، فمن تركه لعذر كأن يكون الموضع الذي يتلو فيه ضيقًا أو يكون على غير طهارة، وقد سجد عمر ﷺ حين تلا آية ولم يسجد حين تلاها بعد أسبوع ليدلل على أن سجود التلاوة سنة.

رابعًا: يقول الساجد للتلاوة: سبحان ربي الأعلى، وتردد ما كان النبي ﷺ يردده من ذكر سجود التلاوة، كما جاء في الصحيحين: «**سجد وجهي للذي خلقه -وفي رواية: وصوَّره- وشق سمعه وبصره بحوله وقوته، فتبارك الله أحسن الخالقين**»، وإذا مررت بآية سجود وأنت في الصلاة، فاسجد ثم عد إلى حالك الأولى من القيام، وإذا كانت آية السجود هي آخر آية من السورة فأنت حينئذ بالخيار بين أن تسجد وبين أن تجتزئ عنها بالركوع.

خامسًا: إذا جاءك من يبشرك بخير من خير الدنيا أو الآخرة، فاسجد لله -تعالى- سجدة الشكر، فقد سجد رسول الله ﷺ حين بُشِّر بإسلام قبيلة همدان، وسجد كعب بن مالك حين بُشِّر بأن الله تاب عليه، ويمكن أن يقوم بدلاً من ذلك بصلاة ركعتين لله -تعالى- شكرًا على ما مَنَّ به من فضل.

سادسًا: سجود السهو يجبر ما يطرأ في الصلاة من سهو عن واجب، أما نسيان ركن من أركان الصلاة فيبطلها إذا لم تعده، ومع أنه ورد في سجود السهو صفتان أحدهما أن تسجد قبل التسليم إذا طرأ في الصلاة نقص، والآخر أن تسجد بعد التسليم إذا طرأ على صلاتك زيادة؛ فإنه يجزئ أن تسجد سجدتي السهو قبل التسليم على جميع الأحوال إذا طرأ على صلاتك شكٌّ أو زيادة أو نقص، جعلنا الله وإياكم من الساجدين لعظمته.

صلاة الجمعة وفضلها

يوم الجمعة هو عيد المصلين كما أن يوم الفطر عيد الصائمين وعيد الأضحى هو عيد الحجاج، وما أجمل أن يترك الإنسان وعثاء المكابدة يوم الجمعة قبيل الزوال، فيغتسل ويتطيب ويلبس أزين ملابسه؛ ليكون جميل الظاهر وضيء الباطن، ثم يتوجه إلى المسجد الجامع بالسكينة والوقار، ويقضي وقتًا هنيئًا مباركًا في الصلاة والذكر وقراءة القرآن وتوزيع نظرات

البشاشة وشذرات الكلام الطيب على إخوانه المصلين، فإذا صعد الإمام المنبر أصغى إلى الخطبة بسمعه وقلبه، فإذا أنهى صلاته خرج قد جدَّد روحه وقوى بربه صلته؛ ليسعى في رزق الله ملتمسًا حلاله وطيباته، ما أجمل الإسلام دين وحدة وحب وتعارف وتعاطف وتراحم وسعي في حلال الرزق.

وبعد؛ فهذه أحاديث كريمة من الهدي النبوي حول فضل الجمعة نوردها ثم نعيش في أحكامها العظيمة:

- روى مالك وأصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ إِلاَّ الْجِنَّ وَالإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**».

- وفي سنن أبي داود: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَمَسَّ مِنْ طِيبِ امْرَأَتِهِ -إِنْ كَانَ لَهَا- وَلَبِسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ، وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا، وَمَنْ لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ ظُهْرًا**».

- ولأصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن ترك ثلاث جُمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه**».

- وفي الصحيحين أن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال لمؤذنه في يوم مطير، وكان يوم جمعة: إذا قلت: أشهد أن محمدًا رسول الله، فلا تقل: حي على الصلاة، قل: صلوا في بيوتكم، فكأن الناس استنكروا ذلك، فقال: فعله من هو خير مني، إن الجمعة عزمةٌ، وإني كرهت أن أخرجكم فتمشون في الطين والدَّحض.

- ولمسلم -رحمه الله: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مسَّ الحصى فقد لغا**».

- وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستنَّ، ويمس طيبًا إن وجد**».

- وروى الجماعة أن عمر ﷺ كان يخطب يوم الجمعة؛ إذ دخل عثمان فناداه عمر: أية ساعة هذه؟ قال: إني شغلت اليوم، فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين، فلم أزد على أن توضأت، فقال عمر: والغسل أيضًا؟ ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل**».

- وروى أصحاب السنن: «**مَن توضأ يوم الجمعة؛ فبها ونعمت، ومَن اغتسل؛ فالغسل أفضل**».

- وفي صحيح البخاري من حديث السائب بن يزيد ﷺ: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزَّوراء[1]، فثبت الأمر على ذلك.

- وروى البخاري: كان النبي ﷺ يصلي الجمعة حين تميل الشمس، وفي رواية: كان ﷺ إذا اشتد بكَّر بالصلاة، وإذا اشتد الحر أبرد بالصلاة، يعني: الجمعة.

- وفي صحيح مسلم كان النبي ﷺ يخطب قائمًا، ثم يجلس، ثم يقوم يخطب قائمًا.

- وفي صحيح مسلم أيضًا أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم.

وله أيضًا: «**إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَاقْصُرُوا الخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**».

- وفي صحيح مسلم وسنن النسائي أن صحابيًّا اسمه «أبو رفاعة العدوي» أتى النبي ﷺ وهو يخطب، فقال: يا رسول الله، رجل غريب جاءك يسألك عن دينه، لا يدري ما دينه. قال أبو رفاعة: فأقبل عليَّ وترك خطبته، حتى انتهى إليَّ، فأتى بكرسي حسبت قوائمه حديدًا فقعد عليه، وجعل يعلِّمني مما علَّمه الله، حتى أتى الخطبة فأتم آخرها.

- وجاء في صحيح الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الجمعة بـ«الجمعة» و«المنافقين»،

---

(١) الزَّوراء: هي البعيدة.

وأنه قرأ بـ«سبح» و«الغاشية»، وأنه قرأ بـ«قاف»، وقرأ بآخر آيات في سورة «الزخرف» من قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾، وهو على المنبر.

أولاً: الجمعة أعظم الأيام لكثرة ما حدث فيها من أحداث مباركة، ولأن فيه ساعة لا يرد فيها سائل، ولهذا يستحب في الجمعة كثرة الدعاء، والصلاة على النبي الكريم ﷺ؛ لأنك بتلك الصلاة تدعو لرسول الله ﷺ، وروى النسائي أنه يستحب في الجمعة قراءة «الكهف»، وأن الله يضيء لقارئها ما بين الجمعتين.

ثانيًا: يسن أن يبكِّر المصلي لصلاة الجمعة؛ ليتمكن من الإكثار من الذكر والدعاء والصلاة والقرآن، وقد شبَّه رسول الله ﷺ من يبكِّر لها في الساعة الأولى، فكأنما قرب بدنة (أي: ناقة رائعة)، ثم يكون من بعده كمن قرب بقرة، ثم كمن قرب كبشًا أقرن، ثم كمن قرب دجاجة، ثم كمن قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر.

ثالثًا: يشرع لمن يذهب لصلاة الجمعة أن يكون نظيفًا مغتسلاً متطيبًا لابسًا أحسن ملابسه، وأن يتنفل قبل الجمعة بما يقدره الله عليه من الصلاة إلا إذا صعد الإمام المنبر، فحينئذ لا صلاة ولا كلام ولا عبث بالحصا؛ لأن كل هذا يعتبر لغوًا يفسد الجمعة، وإذا جلس المصلي في انتظار الجمعة فغالبه النُّعاس، فليتحول من مجلسه أو ليصل ما تيسر له.

رابعًا: لا تجب الجمعة على من له عذر كعذر المطر والبرد والوحل والسفر والخوف من ظالم، وكلُّ هؤلاء يصلون الظهر، وإذا صلوا الجمعة أجزأتهم.

خامسًا: وقت الجمعة هو وقت الظهر على أنه وردت أحاديث صحيحة أن رسول الله ﷺ صلى الجمعة في وقت الضحى، وتصلى الجمعة في المساجد وفي كل هاجرة أو قرية يتجمع فيها عدد من المصلين.

سادسًا: يجب أن يخطب الإمام في الجمعة خطبتين يجلس بينهما، ويعمل جهده أن يكون كلامه مؤثرًا؛ لأن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك، ويجوز أن ينزل الإمام عن المنبر ليقضي أمرًا ضروريًّا، كما فعل رسول الله ﷺ حين نزل ليتلافى سقوط الحسن والحسين، وحين نزل ليعلِّم الأعرابي، ويسلِّم الإمام إذا صعد المنبر، ويضمِّن خطبته حمد الله والشهادتين والصلاة على رسول

الله ﷺ، ويحملها بالقرآن والموعظة الحسنة، ويخطب قائمًا، ويجلس جلسة خفيفة بين الخطبتين، ويقصِّر الخطبة؛ لأن كثرة الكلام ينسي بعضها بعضًا، ويرفع صوته في الخطبة مع وضوح النبرات.

سابعًا: ينصت المصلون للخطبة إنصاتًا تامًّا، ولا يجوز أن يردوا على مُسلِّم أو مُشمِّت أو غيرهما.

آداب الجمعة

إنَّ يوم الجمعة كما يبدو من اسمه هو يوم اجتماع المسلمين، وهو يوم سرور وأنس ولقاء، كما أنه يوم الوضاءة والطهارة والطيب والنظافة، إلى جانب هذا فهو فرصة إعلامية وعلمية معًا يجتمع فيها المسلمون حول خطبائهم؛ ليستمعوا من العلم ما ينوِّر بصائرهم، ومن الأحداث ما ينبِّه ضمائرهم، ومن أجل ذلك كان للجمعة آداب ذكرت في الكتاب الكريم والسُّنة المطهرة، وإني إذ أعرض لها هنا، أسأل الله لي وللإخوة القراء أن يرزقنا أدب الإسلام وأسوة النبي الكريم ﷺ.

- جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم والسِّواك، وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه**».

- وفي صحيح البخاري أن عمر ﷺ كان قائمًا في الخطبة يوم الجمعة؛ إذ دخل عثمان ﷺ فناداه عمر: أي ساعة هذه (يذكره بأنه متأخر)؟ فقال: إني شغلت فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت الأذان، فلم أزد أن توضأت. فقال عمر: والوضوء أيضًا؟! وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل.

- وفي سنن أبي داود والنسائي أن رسول الله ﷺ قال: «**يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله شيئًا إلا آتاه الله إياه؛ فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر**».

- وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه**».

- وفي سنن النسائي: «**مَن قرأ سورة «الكهف» يوم الجمعة أضاء الله له من النور ما بين الجُمعتين**».

- وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح** (أي: مبكرًا)، **فكأنما قرَّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**».

- وفي سنن أبي داود والنسائي أن رجلاً جاء يوم الجمعة يتخطى رقاب الناس والنبي ﷺ يخطب، فقال له رسول الله ﷺ: «**اجلسْ فقد آذيت وآنيت**» أي: تأخرت.

- وفي الصحيحين أن رجلاً دخل يوم الجمعة، فجلس ورسول الله ﷺ يخطب، فقال له: «**صليت؟**» قال: لا، قال له: «**فصلِّ ركعتين**».

- وفي سنن أبي داود والترمذي ومسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نعس أحدكم وهو في المسجد؛ فليتحول من مجلسه ذلك إلى غيره**».

- وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: «**لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك ثلاث جمع تهاونًا ختم الله على قلبه**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يخطب، فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل عن المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «**صدق الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**».

- وفي صحيح مسلم أن أبا رفاعة العدوي قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله، رجل غريب يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه. فأقبل عليَّ وترك خطبته، حتى انتهى إليَّ فأتى بكرسي من خشب قوائمه حديد فقعد عليه، وجعل يعلِّمني مما علَّمه الله -تعالى، ثم أتى الخطبة فأتم آخرها.

أولاً: قد ترى شرذمة من الناس لا يهتمون بصلاة الجمعة، وقد تفوتهم أحيانًا بسبب عدم الاكتراث، والأنكى أن بعضهم قد يكون مسكنه قريبًا من المسجد الجامع، لكنه ملقي في بيته كالمخلف عن الجهاد الشريف، لا يستحي من وجه ربه، ولا يخاف عواقب ذنبه، فلا عجب أن يرين على قلبه ران الآثام كالقطران، ثم يطبع الله على قلبه، فلا ينفذ إليه شعاع الإيمان.

إنَّ الذي يتخلف عن صلاة الجمعة وهو قادر عليها ومكلف بها يجمع إلى جانب معصية الله قلة الحياء والخروج على إجماع المسلمين والانسحاب من ميادين الطهر والوضاءة والجمال والنظافة والعلم، ليظل جيفة نتنة لا طهر ولا وضاءة ولا جمال لها ولا نظافة.

ثانيًا: على ضوء ما ذكرنا من أحاديث النبي ^ على المسلم الموفق أن يلتزم الآداب الآتية في الجمعة:

- كثرة الدعاء والاستغفار يوم الجمعة لعل الدعاء يصادف ساعة الإجابة، فيتقبله الله الذي لا يتقبل إلا من المتقين.

- الغسل والسِّواك والطيب ولبس أجمل ما لدى المسلم من الثياب؛ لأن الجمعة عيد المصلين.

- ألا يتخطى الرقاب أثناء دخوله، ولا يفرق بين اثنين إلا أن يكون بينهما ثغرة.

- أن يصلي ركعتين تحية المسجد قبل أن يجلس، ولو كان الإمام يخطب وأن يخففهما.

- أن يجلس منصتًا محضرًا قلبه متدبرًا لكلام الخطيب؛ لأن اللغو يبطل الجمعة، وكذلك الحركات والعبث التي لا لزوم لها.

- أن يقرأ سورة «الكهف» ويتدبر القصص الأربع الرائعة التي وردت فيها، وهي قصة أهل الكهف كنموذج للتضحية في سبيل الله، وقصة الغني والفقير كنموذج لعاقبة بطر النعمة، وقصة موسى والعبد الصالح كنموذج لتواضع طالب العلم، وقصة ذي القرنين كنموذج للحاكم الصالح الذي يحكم بالعدل ويسعى لراحة الأمة.

- أن يكثر من الصلاة على النبي الكريم ﷺ يوم الجمعة اعترافًا بما تحمَّله في سبيل الله، ومن أجل أمته من متاعب وتضحيات.

- أن يكثر من الأعمال الصالحة والصدقات يوم الجمعة، وأن تكون صدقته خارج المسجد؛ لأن السؤال في المسجد منكر.

- ألا يؤذي المصلين بأي رائحة غير طيبة كرائحة البصل والثوم أو فم لم يعتن بنظافته.

- ألا يفرد يوم الجمعة بصوم تطوع؛ لأنه يوم ضيافات ولقاءات وصلة رحم وإطعام مساكين.

ثالثًا: ينبغي على خطباء الجوامع ألا يضيِّعوا هذه الفرصة الإعلامية الثمينة، فيخطبوا في المأمومين خطبًا ضعيفةً متهالكةً لا مغزى لها، أو يجعلوا الخطبة محاضرة مملولة؛ إذ العبرة في الخطبة أن يكون موضوعها مما يهم المسلمين، وأن تكون رائعة الأسلوب فيها إمتاع للمشاعر وفيها إقناع بالفضائل.

***

openkandl.com

أعياد المسلمين

قدم رسول الله ﷺ المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما، فقال: «**قد أبدلكم الله خيرًا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى**»، هذا حديث شريف رواه النسائي في سننه عن أنس ﷺ، ورويت لهذا الحديث زيادة ذكرها صاحب (فتح الباري) أن رسول الله ﷺ قال يومئذٍ: «**لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ**».

وما أجمل كلمة سمحة وصفًا للملة المحمدية وصفًا لدين الله الذي بعث به محمدًا ﷺ، فالسمح من الرجال الجواد الذي يعطي بسخاء نفس، والسمح أيضًا السهل المتساهل الذي لا يتشدد ولا يقسو في معاملته، وبهذا المفهوم الحكيم يكون دين الإسلام دين السماحة واليسر والسهولة؛ لقوله تعالى: ﴿**هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: ٧٨]، وحسبك أن رسول الله ﷺ بعث مبشرًا ونذيرًا، فجاء وصفه بالبشارة قبل وصفه بالنذارة، وحسبك أن دعا على المتنطعين المتشددين، وأمر الدعاة من أصحابه أن يبشروا ولا ينفروا، وأن ييسروا ولا يعسروا.

والعيدان في الإسلام كما وصفهما رسول الله ﷺ مظهر اليسر في الإسلام، ودليل الفسحة في الملة السمحة السهلة.

إنَّ رسول الله ﷺ لم يلغ يومي اللعب اللذين تعودهما أهل المدينة، لكنه ربطهما بركنين من أركان الإسلام، وجعل عيد الفطر بعد الصوم؛ ليكون فرحةً للصائمين واستبشارًا منهم بالعتق والقبول والرحمة والمغفرة والنجاة من النار، كما جعل عيد الأضحى في ختام أركان الحج؛ ليكون فرحةً للحاج واستبشارًا منه على ما هداهم ﷻ، وأنه قد رحم غربته وتقبل حجه، وفي كلا العيدين يكبِّر المسلمون الرب على ما هداهم وما منَّ به عليهم من نعمة الإيمان والإسلام.

إنَّ للمصلين عيدًا هو يوم الجمعة من كل أسبوع، فيه يجتمعون ويتصافحون ويسمعون الخطبة، وبهذا تكون العبادات في الإسلام لها أعيادها، وحق للمسلمين أن يفرحوا بما هداهم

الله إليه من العبادات المقبولة إنْ شاء الله.

أما الزكاة وهي أيضًا عبادة رئيسية وركن من أركان الإسلام؛ فهي نفسها عيد؛ لأن ثمرة الأعياد كلها هي البذل في سبيل الله وإعطاء السائل والمحروم والفقير والمسكين.

إنَّ من يلجأ في أمور الدعوة إلى التشدد والتنطع والتزام التخويف ورمي العصاة بألقاب الكفر أقول: إن مثل هذا منفر، قد يكون ضرره أكثر من نفعه، وقد يكون الذي يفتنهم وينفرهم بأسلوبه أكثر من الذين يهتدون على يديه.

إنَّ العيد في الإسلام يوم سرور وراحة وأكل وشرب ولقاءات، لكنه في الوقت نفسه يوم تواصل وتراحم وإحسان وصدقات، ولعل زكاة الفطر في عيد الفطر وذبح الأضاحي والفديات في عيد الأضحى، إنما شرعها لينعم المسلمون أغنياؤهم وفقراؤهم برزق الله والحلال الطيب من فضل الله الكريم.

إنَّ يوم العيد هو يوم تضامن بالقلوب والقوى، يتذكر فيه المسلم إخوانه في مشارق الأرض ومغاربها، يتذكر آلامهم وما يعانون من ظلم وفقر واضطهاد، ثم لا يقر له قرار حتى يقرن الأحاسيس بالعمل، فيخف لنجدة كل ملهوف، ويسارع لنصرة كل مظلوم، ويهب لإطعام كل جائع، وبهذا يكون لعيد المسلمين معنى عظيم يستحقون معه أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس.

وإلى الأخ القارئ الكريم بعض أحكام وحِكم تتعلق بالعيد لعل أن يكون في التزامها وتفهمها تتويجًا لما منَّ الله به علينا من الصيام والقيام والحج:

أولاً: من آداب العيد أن يلبس المسلم في يومه أجمل ثيابه، ويغتسل قبل غدوه إلى المصلى، ويتطيب ليظهر المصلى في يوم عيد المسلمين كأنه مروج الربيع المتفتحة، لا ترى منه إلا المنظر الجميل، ولا تشم منه إلا الشذا العطر، وليقول غير المسلمين حين يرون مظاهر العيد: ما أجمل هذا الدين! وما أجمل أتباعه ومجتمعه!

لقد كان رسول الله ﷺ يلبس بُرْدَ حِبَرَةٍ في كلِّ عيد، وبُرد الحبرة من أفخر البرود اليمانية.

ثانيًا: من سنن العيد التكبير شكرًا لله على ما رزق الأمة من إقامة الدين القيم، قال الله

تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وجمهور العلماء على أن التكبير سُنة مستحبة أثرت عن السلف الصالح، وأن التكبير في عيد الفطر يكون عند خروجك إلى الصلاة، وإلى أن يبدأ الإمام في الخطبة، وأما التكبير في عيد الأضحى فيكون مطلقًا، أي: في غير أوقات الصلوات من اليوم الأول من ذي الحجة إلى يوم عرفة، تكبِّر الله في بيتك وسوقك، وحيثما رأيت غفلة من قوم، ثم يتحول التكبير مقيدًا بأوقات الصلوات من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق، بهذا قال معظم أئمة المذاهب.

ثالثًا: في صباح عيد الفطر وقبل خروجك إلى صلاته كُلْ أي شيء مما يرزقك الله من حلال الرزق، لكي تشعر بنعمة الله وحكمته محلا ومحرمًا، لقد كنت بالأمس تحرم نفسك من الأكل في الصباح استجابةً لأمر الله، واليوم أنت تتمتع بالحلال من رزقه استجابةً للمحلل المحرِّم لا إله إلا هو.

جاء في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل ثمرات، ويأكلهن وترًا، أما في الأضحى فكان لا يأكل حتى يرجع، فيأكل من أضحيته.

رابعًا: تؤدى صلاة العيد في مُصَلَّى العيد لتكون أجمع للمسلمين؛ إذ لو صلى كل أهل مسجد في مسجدهم لأشبهت صلاة الجمعة، والمصلى يجمع عددًا أكبر، فتتجلى وحدة المسلمين وقوتهم وكثرة عددهم ونشاطهم وفرحتهم، ويكون العيد عرض قوة وحضارة.

وما أجمل أن يكون في الأعياد عروض عسكرية يطلع فيها المسلمون على قوة الدولة الإسلامية، وهي عادة كان يفعلها كثير من الخلفاء.

قال الشاعر البحتري في قصيدته الرائية التي هنَّأ فيها الخليفة المتوكل -رحمه الله:

أظهرت عز الملك فيه بجحفل ... لجب يصان الدين فيه وينصر

خامسًا: الألعاب التي تظهر فيها القوة والشجاعة مباحة في العيد كألعاب القوى واللعب بالسلاح في غير ضرر، والعرضات بالسيوف، فقد لعب الأحباش بالدرق في المسجد، وكان رسول الله ﷺ يشجِّعهم، وأمنا عائشة -رضي الله عنها- تتفرج عليهم متوارية

خلف رسول الله ﷺ.

ولا بأس أن يأخذ المسلم عائلته ذكورًا وإناثًا ليتفرجوا على ألا يحصل أي اختلاط مما لا يقره الإسلام، فلقد كان رسول الله ﷺ يخرج نساءه وبناته إلى المصلى، وحتى البكر والحائض تخرجان، ولا تشهد الحائض الصلاة، ولكنها تسمع الدعاء وتؤمن عليه وتكبر.

سادسًا: وقت صلاة العيد بعد أن ترتفع الشمس قرابة طول رمح في الأضحى وفي الفطر، ولا تسبقها أي نافلة؛ لأنها تكون عندئذٍ في وقت الكراهة، وليس لها أذان ولا أي نداء أو إقامة.

سابعًا: للعيد خطبة بعد صلاة العيد، وعلى الخطباء أن ينتهزوا هذا الجمع العظيم فيجعلوا خطبهم غاية في البلاغة والتأثير، وألا يموتوا على الناس حماستهم بالكلام العادي والمعاد وغير المؤثر، فيضيِّعوا بذلك فرصة عظيمة.

ثامنًا: العمل الصالح في يوم العيد مطلوب من صلة للرحم وإطعام للفقراء والجيران، وتهنئة للأصحاب بأن يصافحهم، ويقول لهم: تقبَّل الله منا ومنكم، وما أجمل أن يتفقد الغني حوائج أطفال الفقراء من جيرانه؛ لينعموا بما ينعم به ولده، ولتمتلئ قلوبهم حبًّا للمحسن.

أسأل الله -تعالى- أن يعيد لأمتنا عزها ونصرها، وأن يرفع مقته وغضبه عنها، ويبدلها بضياعها هدى وبضعفها قوة، والحمد لله أولاً وآخرًا.

***

obeikandl.com

الوسوسة في العبادة

هذا بحث مهم نقدِّمه ونحن نتحدَّث عن العبادة؛ لأنه كثيرًا ما يفسد العبادة ويحوِّلها فتنة ومشكلة، إنه الوسوسة في العبادة، وهي داء يسيطر به الشيطان على الجهلة من المتعبدين فيشقيهم ويرديهم، ويلبس عليهم دينهم وعبادتهم.

أذكر أني صليتُ في المسجد الحرام وصلى إلى جواري شابٌّ، فلما تشهد سمعته يتوقف عند الشهادة ويتعتع ويعيدها عدة مرات، ولما أتم صلاته سألته: لماذا تلك الإعادات وذلك الرهق؟ فقال: لأن حركة إصبعي عند الشهادة لا توافق قسميها، قلت له: وكيف ذلك؟ قال: المفروض إذا قلت: (لا إله) أن أخفضها إلى أسفل، وعند الشهادة يتسلط عليَّ الوسواس، فيخيل لي أني لم أتقن الحركة فأعيدها.

وصلى إلى جواري شابٌّ آخر، فأعاد التشهد ثلاث مرات، ولما سألته قال لي: إذا أكملت التشهد أوقع الشيطان في روعي أنني لم أضبطه فأعيده.

وصلى رجل معي فأعاد نية الإحرام ثلاث مرات قبل أن يكبِّر.

ورأيت رجلاً يتوضأ عدة مرات في جلسة واحدة، ويبذر في الماء تبذيرًا شديدًا، ولما سألته قال: أحس أن نقطًا صغيرة من البول تنزل عقب كل وضوء.

وولغ ذات مرة كلبٌ في إناء رجل، فذهب يسأل أحد المنسوبين إلى الفقه فقال له: إن ذلك الكلب لا بدَّ أنه بعد أن ولغ في الإناء تجول في أنحاء البيت ينفض أنفه وفمه على الأبواب وحبال الغسيل، فعليك أن تتفقد كل ذلك وتطهره بالتراب والماء، وكان يكفي عن ذلك كله لو أنه هراق الماء من الإناء وغسله سبعًا إحداها بالتراب.

وهذه بعض آثار في مقاومة الوسوسة نوردها ثم نتبعها باستنباط أحكام تتعلق بهذا الداء الوبيل، وقد اقتبست كثيرًا في هذا البحث من كتاب (العبادة في الإسلام) لشيخنا الدكتور «يوسف القرضاوي» جزاه الله خيرًا:

- جاء في سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وطئ أحدكم بنعليه الأذى، فإن**

التراب له طهور»، وفي لفظ: «**من وطئ الأذى بخفه؛ فطهورها التراب**».

- وجاء عنه ﷺ أنه كان إذا استنجى نضح على سراويله ماءً ليقطع على الوسواس طريق الوسوسة.

- وكان -عليه الصلاة والسلام- ربما صلى في مرابض الغنم، وقال: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**».

- وكانت الكلاب تقفز إلى داخل مسجد النبي ﷺ، وربما تبول فلا يوسوس الصحابة من ذلك؛ لأن الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يكن منهم موسوس.

- وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ صلى بالناس، وهو يحمل أميمة بنت أبي العاص وهي طفلة، والطفل كما هو معلوم عرضة أن يكون في ثيابه الداخلية نجاسة.

- وكان -عليه الصلاة والسلام- يلبس الثياب التي كان ينسجها المشركون ويصلي فيها، ولا يسأل عن طهارة ناسجها.

- ولما قدم عمر ﷺ إلى الشام استعار ثوب نصراني فلبسه وصلى فيه، إلى أن رقعوا له ثوبه وغسلوه، وتوضأ ﷺ من جرة نصرانية.

- وجاء في سنن أبي داود وابن ماجه أن جماعة من الصحابة خرجوا في سفر فأصاب أحدهم حجرٌ شجَّه في رأسه، ثم احتلم الرجل فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة، وأن تقدر على الماء فاغتسل فمات، ولما علم رسول الله ﷺ غضب وقال: «**قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه خرقه، ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده**».

- وفي مسند أحمد أن النبي ﷺ كان ربما قبَّل بعض نسائه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ.

- وفي الصحيحين أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كنت أنام بين يدي النبي ﷺ ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني، فقبضتهما.

- وأفتى كثيرٌ من الأئمة ومنهم الإمام أحمد ومالك أن المصلي إذا كان على بدنه أو ثوبه نجاسة بعد الصلاة، ولم يكن عالمًا بها أو كان عالمًا بها ولكنه نسيها؛ فصلاته صحيحة ولا إعادة عليه.

أولاً: الموسوس إنسان وضع نفسه طائعًا مختارًا تحت أوامر الشيطان الوسواس الخناس، فهو لا يكاد يأمره حتى يطيع، والموسوس خاسر مهما دفعه الشيطان إلى إطالة العبادة وتكرارها، وذلك لأنه لا يعيدها ابتغاء مرضاة الله، ولكنه استجابة لوسوسة الشيطان.

ولقد خالطتُ المتصوفةَ فوجدت كثيرًا من متعبديهم يستعبدهم الشيطان بالوسوسة حتى يجعلهم في كبد دائم وإرهاق، وترى بعضهم بعدئذ يُجنُّ من الوسوسة فيسمُّونه «مجذوبًا»، وهو في الحقيقة موسوس استبدت به الوسوسة حتى أوردته الجنون.

ثانيًا: أكبر علاج للوسوسة هو العودة إلى المنابع الأولى للإسلام؛ حيث البساطة التي لا تعقيد فيها ولا تكلف، حين كان رسول الله ﷺ ربما يتوضأ بمدٍّ من الماء، أي: ما مقداره كأسان، وقد يغتسل بثلاثة أضعاف ذلك فقط، وحين كان الأعرابي يقضي يومًا أو يومين أو أسبوعًا عند رسول الله ﷺ، فيعود لتعليم قبيلته أصول الدين وقواعده وكيفية العبادة جميعها من وضوء وصلاة وصوم وزكاة وحج.

ثالثًا: أن يسأل عن أمور دينه أهل الذكر والعلم الصحيح لا أن يلجأ إلى أهل التكلف والتعقيد والسطحية، وأن يصرف كل اهتمامه إلى الأمور الرئيسية لا أن يتركها ليتعمق ويتنطع في الدقائق.

إنَّ الجهر مثلاً بنية الإحرام ربما ضيَّعت على بعض الشافعية فضيلة موافقة الإمام في تلك التكبيرة، وهو يجهر بالنية يردد: أصلي لله العظيم أربع ركعات فرض الظهر الحاضر مستقبلاً الكعبة مقتديًا بهذا الإمام... إلى آخر ذلك. مع أن النية محلها القلب، وكلُّ هذا الكلام مفهوم في القلب دون أن ينطق به؛ لأن كل مصلٍّ حضر إلى المسجد قبل الظهر إنما جاء ليصلي الظهر أربع ركعات موليًا شطر القبلة مقتديًا بإمام المسجد؛ فلماذا هذا الشرح المسبب للوسوسة.

رابعًا: على المتعبد لله ألا يستنكف عن الأخذ بالرخص كالمسح على الخفين والجوربين

وكالجمع والقصر والمسح على الجبيرة والأخذ بالأيسر اقتداءً برسول الله ﷺ الذي ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، والذي أوصى صاحبيه اليمانيين، فقال: «**يسرا ولا تعسرا**».

خامسًا: إذا وسوس إليك الشيطان في الصلاة، فخيل لك أن ريحًا أو بولاً يخرج منك، أو قال لك: نسيت ركنًا من أركان الوضوء، فلا تشغل بالك في الصلاة بالتفكير الطويل الذي يضيِّع الخشوع، وابعد الأفكار من ذهنك، وتفرَّغ للتفكير في الصلاة، وتعوَّد أن تهمل وساوس الشيطان؛ لأنه خناس يخنس ويختفي بذكر الله ﷻ.

***

obeikandl.com